20 me. année No. 984

Le Caire 12 — 6 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨٤ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ شعبان سنة ١٣٧١ — ١٢ مايو سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

واحسرتا على عزيز!

أشهد لقد أصابنى ما يصيب الحى من فجائع الموت ، فحزنت حزن المفجوع ، وبكيت بكاء الموجوع ؛ ولكن فجيعتين بعد فجيعتى فى ولدى، أشعرتانى لوعة من الحزن لم أجدها فى فجيعة من قبل : فجيعة الأمس فى على طه ، وفجيعة اليوم فى عزيز فهمي !

لا أستطيع أن أصف لك هذا اللون من الحزن على وجه الدقة ؛ لأنه نادر الحدوث فى القلب فهو غريب ؛ ولأنه عميق الأثر فى النفس فهو غامض . إنه ذهول يتخلله وعى ، وأسف تخالطه حسرة ، وحرقة يغالبها دمع ، وذكرى يساورها قنوط ، وسخط يكفكفه إيمان

جاءنى على غير انتظار ولا توقع أن زين الشباب عزيزا أدركه الموت الأسود[1] وهو فى طريقه إلى نصرة الحق وخدمة العدالة ، فأخذنى أول الأمر وجوم كوجوم المبهوت ، فيه الدهش والشك والتبلد والحيرة . ثم تكرر النبأ الفاجع فى صيغ شتى ، فانجلى البهت رويدا رويدا ، حتى تمثل لعينى الخطاب الجلل على أبشع صوره وأفظع معانيه . تمثل لى مصاب نفسى فى الخلق الرضى والطبع الحبى والفؤاد الذكى والإخاء الوامى والوفاء المضحى ، فجزعت جزع الإنسان يرى قوة من الخلال الكريمة تفنى ولا تخلف . وتمثل لى مصاب وطنى فى المحامى الوثيق الحجة ، والخطيب الحافل الذهن ، والنائب الشجاع القلب ، والشاعر السمح القريحة ، فجزعت جزع الوطن يرى ثروة من المواهب العظيمة تفقد ولا تعوض

جزعت للانسانية لأنى أكاد لا أعرف من هذا الناس إلا آحادا من طراز عزيز قد برهنوا بالفعل على أن الإنسان الذى يسفل فيكون شرا من شيطان ، يستطيع أن يعلو فيكون خيرا من ملك . وجزعت للوطنية لأن هذا البلد البائس الذى يكابد سوء الأخلاق فى داخله ، ويجاهد شر الدول فى خارجه ، يفتقر فى محنته إلى أمثال عزيز ليرفعوا قيمة الفضيلة فى التعامل ، ويعظموا قدر الكفاية فى العمل

عرفت عزيز فهمي فى بغداد سنة ١٩٣٢ ، وكان قد قدمها فى رحلة جامعية . لم أعرف بالطبع جميع أعضاء الرحلة ، وإنما عرفت عزيزا وحده ، لأنه بارز فى شخصيته ، متميز فى خلقه . لم يكد يعرفنى حتى ارتاح إلى بأنسه ، وأخذ يستمنى من شعره ، ويحدثنى عن أمانيه . ثم توثقت بينى وبينه أسباب المودة فآثرنى بحبه ، وآزر (الرسالة) بأدبه . ثم أنفق فى سبيل العلم والمجد زهرة عمره ونضوة شبابه ، حتى أصبح أديبا له أسلوب ، وفقيها له رأى ، ومحاميا له سلطان ، ونائبا له صولة ، وسياسيا له صوت ، واجتماعيا له رسالة . وفى لحظة من لحظات الشؤم تنبه فيها قدر ، وغفل سائق ، وطاشت سيارة ، ذهب هذا كله كما يذهب الحلم ، وتبدد هذا كله كما يتبدد الشعاع !

احمد حسن الزيات

(١) الموت الأسود هو الموت خنقا أو غرقا

٣ ـ حسن البنـــا

الرجل القرآنى

بقلم روبير جاكسون

للاستاذ أنور الجندى

... فى الأزقة (١) الضيقة ، فى أحشاء القاهرة ، فى حارة الروم ، وسوق السلاح وعطفة نافع ، وحارة الشماشرجى . . بدأ الرجل يعمل ، وتجمع حوله نفر قليل ؛ وكان حسن البنا الداعية الأول فى الشرق ، الذى قدم للناس برنامجا مدروسا كاملا ، لم يفعل ذلك أحد قبله ؛ لم يفعله جمال الدين ولا محمد عبده ، ولم يفعله زعماء الأحزاب والجماعات التى لمعت أسماؤهم بعد الحرب العالمية الأولى . .

. . وأستطيع بناء على دراساتى الواسعة أن أقول إن حياة الرجل وتصرفاته كانت تطبيقا صادقا للمبادئ التى نادى بها

وقد منحه « الإسلام » كما كان يفهمه ، ويدعو إليه ، حلة متألقة ، قوية الأثر فى النفوس ، لم تتح لزعماء السياسة ولا لرجال الدين !

لم يكن من الذين يشترون النجاح بثمن بخس ، ولو بجعل الواسطة مبررة للغاية ، كما يفعل رجال السياسة ، ولذلك كان طريقه مليئا بالأشواك ، وكانت آية متاعبه أنه يعمل فى مجرى تراكمت فيه الجنادل والصخور ، وكان هذا مما يدعوه إلى أن يدفع أتباعه إلى التسامى وبدفعهم إلى التغلب على مغريات عصرهم ، والاستعلاء على الشهوات التى تزعم بسفن النجاة فتحول دون الوصول إلى البر

كان يريد أن يصل إلى الحل الأمثل ، مهما طال طريقه ، ولذلك رفض المساومة ، ولفى من برنامجه أنصاف الحلول ، وداوم فى إلحاح القول بأنه لا تجزئة فى الحق القدس فى الحرية والوطنية والسيادة . . وكان هذا مما سبب له المتاعب والأذى

واستدعى بعض من حوله النمرة ، وعجزت أعصابهم عن أن تقاوم المرير ، فسقطوا فى منتصف الطريق ومضى الركب خفيفا

كان يؤمن بالواقعية ويفهم الأشياء على حقيقتها ، مجردة من الأوهام ، وكان يبدو — حين تلقاه — هادئا غاية الهدوء وفى قلبه مرجل يغلى ، ولهيب يضطرم ؛ فقد كان الرجل غيورا على الوطن الإسلامى ، يتحرق كلما سمع بأن جزءاً منه قد أصابه سوء أو ألم به أذى ، ولكنه لم يكن يصرف غضبته — كبعض الزعماء — فى مصاوف الكلام أو الضجيج أو الصياح ، ولا ينفس على نفسه بالأوهام ، وإنما يوجه هذه الطاقة القوية إلى العمل والإنشاء والاستعداد لليوم الذى يمكن أن تتحقق فيه آمال الشعوب

وكان فى عقله مرونة ، وفى تفكيره تحرر ، وفى روحه إشراق ، وفى أعماقه إيمان قوى جارف

وكان متواضعا تواضع من يعرف قدره ، متفائلا ، عف اللسان ، عف القلم ، يجل نفسه من أن يجرى مجرى أصحاب الألسنة الحداد

* * *

كان مذهبه السياسى أن يرد مادة الأخلاق إلى صميم السياسة بعد أن نزعت منها ؛ بعد أن قيل إن السياسة والأخلاق لا يجتمعان

وكان يريد أن يكذب قول تاليران « إن اللغة لا تستخدم إلا لإخفاء آرائنا الحقيقية » فقد كان ينكر أن يضلل السياسى ساميه أو أتباعه ، أو أمته

وكان يعمل على أن يسمو بالجماهير ، ورجل الشارع ، فوق خداع السياسة ، وتضليل رجال الأحزاب

ولأول مرة خاطب الجماهير زعيم بما يفتح العيون على الحقائق ، ووضع دعوته على المشرحة ، وقبل أن يسأل عن أدق الأشياء فيها وفى حياته الخاصة ، فقد كانت توجه إليه عقب «أحاديث» الثلاثاء قصاصات ، فيها أسئلة غاية فى الإحراج ،

(١) لم يذكر الكاتب أن دعوة الإخوان بدأت فى الاسماعيلية

ولكنه كان يجيب عنها فى منتهى البساطة والوضوح

وكأنما أراد أن ينشئ للشرق روحا جديدة من المثل العليا ، هذه المادة الضائعة ، التى هزم بها الشرق الدنيا وفتح باب أطراف الأرض ، كان يريد أن ينشئ القوة التى تصمد فى وجه الخطرين الداهمين اللذين يهددان العالم وهما : الإلحاد والاستعباد

كان يريد أن يجعل من الإسلام قوة تدفع الشيوعية الضالة ، والرأسمالية الزائفة ، وكان يطمع فى أن يرفع الإسلام ويسمو به عن أن يكون خادما للاستعمار باسم الديمقراطية ، أو للشيوعية باسم الاشتراكية ، وإنما كان يرى الاسلام نظاما كاملا فوق الشيوعية والديكتاتورية والرأسمالية جميعا

* * *

وقد استطاع الرجل — رغم كل ما دبر لوضع حد لدعوته أو حياته — أن يعمل ، وأن يضع فى الأرض البذرة الجديدة ، بذرة المصحف ، البذرة التى لا تموت بعد أن ذوت شجرتها القديمة ، ولم يمت الرجل إلا بعد أن ارتفعت الشجرة فى الفضاء واستقرت

ولن يستطيع مصلح من بعد ، أن ينكر أن الرجل رفع من طريقه الكثير من العقبات والأشواك والصخور

وكل حركة إصلاحية أو استقلالية تظهر فى الشرق من بعد ، سواء فى مصر أو فى المغرب أو فى إندونيسيا ، يجب أن يلاحظ فيها ذلك الخيط الدقيق الذى يربطها بالرجل القرآنى ، الذى حمل المصحف ووقف به فى طريق رجال الفكر الحديث الذين كانوا يسخرون من ثلاث كلمات : « شرق ، وإسلام ، وقرآن »

كان الرجل يريد أن يقول آن للشرق أن يمحص أفكار الغرب قبل أن نعتنقها ، بعد أن غدت الحضارة فى نظر أصحابها لا تتوفى بما يطلب منها ، كان يقول علينا أن نوزن هذه القيم ، وأن نثق بأنفسنا ، وأن نعتقد أن ما عندنا لا يقل عما عند الغرب أو على الأقل لا يستحق الإهمال

وأن على الشرق أن ينشئ للدنيا حضارة جديدة ، تكون أصلح من حضارة الغرب ، قوامها امتزاج الروح بالمادة واتصال السماء بالأرض

وما كنت تعرض لأمر من أمور الحضارة الغربية ، إلا رده إلى مصادره الأولى فى الحضارة الإسلامية ، أو فى القرآن والسنة والتاريخ

كان الرجل القرآنى يؤمن بأن الاسلام قوة نفسية كامنة فى ضمير الشرق ، وأنها تستطيع أن تمده بالحيوية التى تمكن له فى الأرض وتتيح له الزحف إلى قواعده واستخلاص حقوقه وحرياته

كان يؤمن بأن الشرق وحدة كامنة كاملة ، لو تخلص من مناورات الساسة ومن خلاف الطامعين ، لقاوم وصارع

تبحث صلة

أنور الجندى

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل عرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك . . . الخ

يقع فى ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد

الأصناف والحرف الاسلامية

للدكتور عبد العزيز الدورى

بقية ما نشر فى العدد الماضي

أما كوردافسكى وكوبرولو فيرون أن اندماج الفتوة بالنقابات حصل فى القرن الثالث عشر فى نظام (أخيان روم) وأن الأخية ظهروا فى الأناضول بعد الفتح المغولى مباشرة فى فترة فوضى واضطراب بعد أن دمر المغول الإدارة السلجوقية دون تعويض . فظهر الأخية كمؤسسة قوية واسعة لها الرغبة والقدرة على التنظيم ، وانتشروا بسرعة فى الأرياف والمدن، وجعلوا «التكتل والكرم» دستورهم وطبقة أصحاب الحرف أساسهم الاجتماعى « وقتل الطغاة وصنائعهم » من واجباتهم

ويلاحظ أن أعضاء كل جمعية من جمعيات الأخية كانوا أصحاب حرفة واحدة . ولكن حركتهم لم تكن مجرد تنظيم لأصحاب الحرفة الواحدة ، بل جعلوا واجبهم حفظ العدل ومنع الظلم وإيقاف الظالم عند حده واتباع قانون دينى وأخلاق وتنفيذ واجبات عسكرية إن دعت الحاجة للدفاع عن حقوقهم . وكانت العضوية مفتوحة للمسلمين ولغيرهم وهكذا تحقق فى حركة الأخية (حسب هذا الرأى) اتحاد النقابة والفتوة والطريقة الصوفية

ولكنى أود أن أبين أن هذه افتراضات تحتاج إلى بحوث جديدة . فنظرية تبشر ممكوسة . فالتكتل الذى أدى للفتوة بدأ لدى السيارين والشطار أسلاف فتيان الناصر لدين الله . وكان بين الطبقة العامة وعلى صلة سيئة بالحكومة من قبل جماعة متهمة فى مهنها وفى سلوكها . ثم تطورت الحركة بعد أن تأثرت بوضوح بالصوفية وصار لها قانون أخلاق حسن . ولم تعترف بها الحكومة إلا فى خلافة الناصر حين أكد على الناحية العسكرية فيها . وهذه الناحية تكونت نتيجة اضطراب الإدارة وسيطرة الأجانب فى العراق . وصارت الحركة أرستقراطية فى خلافة الناصر ثم صارت حركة العامة بعد الفتح المغولى . كما أن الفوضى مسؤولة عن تكتل الحرف وعن اهتمامها بحماية نفسها

وكان الجهاد فى الأناضول والحرب على الحدود الإسلامية البيزنطية خير دافع لامتزاج تقاليد الفتوة بالمبادئ الروحية الصوفية وبتقاليد الحرفة

ثم إن ظهور بعض البدع والتساهل فى المبادئ الدينية كان واضحا فى الأناضول للضرورات الثقافية والعسكرية على الحدود . ومع أن ظهور العثمانية أفقد الأخية كثيرا من سلطتهم ونفوذهم وأدى إلى تخليهم عن فعاليتهم السياسية والعسكرية إلا أنهم حافظوا على التعاليم الروحية والأخلاقية إلى الأخير

ولا بد هنا من تسجيل ملاحظات المعلم جودت لقيمتها ولأنها تلقى ضوءاً على رأينا إذ يقول : « فأما الفتوة فهى عمدة إسلامية ومدنية عامة لجميع المسالك الصناعية والعسكرية والتصوفية والأدبية والتعليمية ليست مختصة بمسلك أو طريقة» وهو هنا يتحدث عن المفهوم الأخير الذى أشرت إليه

ويذكر فى محل آخر أن الفتوة « تفيد معنى السماحة الصناعية » ويبين أن : احتياج الصناع إلى الاتحاد محافظة لحقوقهم وأموالهم ضد الجبابرة والأقوياء من بواعث تأسيس هذه الهيئات . وأخيرا ينفى أية صلة للفتوة بالباطنية والإسماعيلية ويأتى بشواهد تنفيها

ويستطرد إلى « أن الفتيان المذكورين فى صحائف التاريخ والأشعار وفى الاستعمال الجارى ليسوا كلهم من هذا الصنف بل بعضهم . فبعض الرجال المتصفين بالفتوة العسكرية والشجاعة والرجولية محرومون من سمة الجود والكرم » وهم السيارون والشطار بالعربية» وهو بذلك يؤيد افتراضنا الأول. وهكذا نتوصل إلى شكل النقابة المستقرة بشعائرها المنظمة . فلكل نقابة دستور فيه عاداتها وشعائرها وقد وصلت بعض هذه الدساتير من القرن الرابع عشر الميلادى وما يليه . وقبل الدخول فى التفاصيل هذه نبين أن هذه الشعائر فيها طابع الاستمرار والمحافظة . فاللابس الذى ذكرنا مع إحلال السروال محل المئزر أحيانا ، والماء بالملح محل النبيذ، والتعاون المطلق، وفتح الباب لغير المسلمين، ومكافحة التعدى والظلم بقيت ، كما أننا نرى فى بعض الحالات عيدا ما للحرف تظهر فيه روائع بضائعها كما كان يحصل فى بغداد فى أواخر أيام

العباسيين ، حيث كانت الأصناف تتقدم في موكب حافل ، كل حرفة تحتفل بنموذج لصناعتها في موكب يستمر طول اليوم

وإن دققنا في دساتير النقابات نجدها تتكون عادة من ثلاثة أقسام — الأول يتصل بأصل الحرفة ومغامرات شيخها المؤسس وتعطي سلسلة تنتهي — مثلا — الله علم جبريل — جبريل علم محمد — محمد علم علي — علي علم سلمان الفارسي — سلمان علم الأبيار وهم حماة أهل الحرف — الأبيار علموا الفروع وهم الحماة الثانويون للشعب المختلفة في الحرفة الواحدة — الفروع علموا بدورهم رؤساء الأصناف

القسم الثاني — يحوي عادة قائمة بأسماء الأبيار والفروع لمختلف الحرف . وهم عادة أبطال من القرآن والتوراة والتاريخ الإسلامي — مثلا — آدم حامي الفلاحين والخبازين — شيث حامي الحياك والخياطين — نوح حامي النجارين — وداود حامي الحدادين والصياغ — وإبراهيم حامي الطباخين — وإسماعيل حامي صناع الأسلحة

القسم الثالث — يحوي التعاليم التقنية المبتدئين وأسئلة وأجوبتها . ومع اختلاف التفاصيل الجزئية في تنظيم النقابات إلا أن الأسس واحدة

تتكون كل نقابة من الأساتذة (مفرد . أوسطة أو معلم) وهم يشكلون القسم الرئيسي من النقابات ويليه (الخليفة أو المتعلم) ثم (الصانع) ثم (المبتدئ) وفي بعض النقابات يغفل دور الصانع ودور الخليفة ، ويكون الانتقال من مبتدئ إلى أوسطى . ويرأس النقابة (الشيخ) وهو موجود في جميع الأصناف. وقد يكون له مساعد يدعى (النقيب) منزلته منزلة الوزير من السلطان

ولا يكون الانتقال من مبتدئ إلى الدرجة التالية في وقت محدود بل يعتمد ذلك على الأستاذ . وتختلف الحالات في تطبيق دستور النقابة، فمرة ينسب ذلك إلى الشيخ ومرة ينسب إليه بمساعدة هيئة المسنين من الأساتذة أو الاختيارية

وتلعب حفلة الانتماء أو الترقية في الحرفة دورا مهما، وتتميز بارتداء بعض اللابس كالسروال والشد (أو شد الحزام) والمئزر أو الصدرية

ولدينا بعض الأوصاف للنقابات الإسلامية. منها وصف السائح ابن بطوطة لحركة الأخية والفتيان في الأناضول . يقول « والأخي عندهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم ويقدمونه على أنفسهم وتلك هي الفتوة أيضا . وهم (الأخية والفتيان) بجميع البلاد التركية الرومانية في كل بلد ومدينة وقرية ولا يوجد في الدنيا مثلهم أشد احتفالا بالغرباء من النـــاس وأسرع إلى إطعامهم الطعام وقضاء الحوائج والأخذ على أيدي الظلمة وقتل الشرط ومن لحق بهم أهل من الشر . ويبني (الأخي) زاوية ويجعل فيها الفرش والسرج »

ويقول « الفتيان الأخية كلهم بالأسلحة ولأهل كل صناعة (الأعلام) والبوقات و (الطبول) و (الأنفار) وبعضهم يفاخر بعضا ويباهيه في حسن الهيئة وكمال الشكة »

ويقول « ومن عوائد هذه البلاد أنه ما كان منها ليس به سلطان فالأخي هو الحاكم وهو يركب الوارد ويكسوه ويحسن إليه على قدره ، وترتيبه في أمره ونهيه وركوبه ترتيب الملوك »

وننتقل بعد ابن بطوطة إلى سائح تركي هو (أولما جلبي) الذي تحدث عن الأصناف بناء على طلب السلطان في أوائل القرن السابع عشر . ووصفه أول وصف كامل لنقابات مدينة إسلامية

فبعد أن يصف (فتوت تامة) — كتاب الفتوة بتعاليمه وأساطيره ، يذكر تركيب الحرفة من (الشيخ) (النقيب) والجاويش والأوسطة (الأستاذ) ثم (الشاكرد) أو (المبتدئ) أما الصانع فلا ذكر له

ثم يعدد جميع الأصناف وحوانيتهم وشيوخهم . ولا مجال لوصف الأصناف وهي (١٠٠١ صنف) ويذكر أن الأصناف تنظم عرضا عاما (بهيئة استعراض) مرة واحدة سنويا . ويبدأ الموكب وقت الفجر ويستمر في سيره طول النهار حتى المغرب . وتمر الأصناف ببيت قاضي اسطنبول لأنه صاحب السلطة لتفتيش جميع الأوزان والمقاييس والأصناف ، ومن التقاليد أن تهدي الأصناف إلى القاضي نماذجهم التي عرضوها ولكن بعضها كان يخفي ذلك . ثم تسير الأصناف إلى محلاتها وأسواقها وتتوقف كل تجارة وحرفة ثلاثة أيام بمناسبة الاستعراض . وكانت تعلق

أهمية على الأقدمية فى السير ، ويصف (أوليا جلبى) نزاعا وقع بين القصابين وبين تجار مصر حول الأسبقية حتى صدر الحكم من السلطان فى جانب التجار

ولدينا وصف آخر لتشكيلات الصناعة فى سيروز (روميلى سنة ١٢٥٠ هـ) فيذكر ابن قاضى البلدة أن لكل صنف سوقا مختصة ولكل حرفة رئيسا يسمى (أخى بابا) أو (كهيا) أو (متولى) . وإدارة شؤون الحرف بيد الرؤساء أو الأخية تعاونهم هيئة إدارة (أهل اللونجة) من خمسة أعضاء ينتخبون من أساتذة الحرفة . ويندرج المنتمون إلى الحرفة من (يماق) المبتدئ وسنه أقل من عشر سنين ، وبعد سنتين يتقدم ويصبح (جراق) وبعد ثلاث سنين يصبح (خليفة) وبعد ثلاث أخرى يصبح (أوسطة) . ويوجد مجلس أعلى لكل الحرف يمثل الحرف برؤسائها وهؤلاء ينتخبون رئيسا عاما (كهيالرباش)

ويشرف الأخى على شؤون الحرفة الإدارية والمالية ويحل المنازعات ويرأس هيئة الإدارة ويجرى المراسيم المخصوصة للأستاذ والخليفة والجراق ويرأس الحفلات ويقوم بالنظارة الدائمة على أحوال الأصناف، أما المجلس الكبير فيقوم بالإشراف على المتولين كافة ويفصل النزاع بين أهل الحرف ويحسم المشكلات التى لم يقدر المتولون على حلها ويسوى المصالح دون مداخلة الحكومة ويعرض لدى الحكومة ما يمس حقوق أهل الصناعات ويرعى حقوق أهل الصناعة

ولكل حرفة صندوق وارداته من بدل الإيجارات وأرباح الأموال الموقوفة والوصايا ورسوم الانتماء والتبرعات من أهل الخير أو رجال الحرف . وينفق وارداته على التعميرات والرسوم ومعاونة فقراء أهل الحرفة وتقديم المعونة للعلماء والجهات العلمية . وكمثل يوضح ذلك نذكر قائمة مصاريف الحلاجين سنة ١٢٩٠ ، بسيروز وفيها ما يلى : —

لحم لفقراء البلدة وأهل الصناعة (٦٨٠ قرشا) . خبز للغذاء فى رمضان (١٢٠٠) . أجرة تداوى فقراء أهل الحرف وعائلاتهم (٣٥٠) . للتجهيز والتكفين (١٧٠) . للصدقات اليومية (١٨٠٠) . لمعلمى مكاتب الصبيان (١٨٠٠) . القمح والحصر للمكاتب (٥٠٠) معاونة لحسن أغا المحترق دكانه (٣٥٠) . لقراءة البخارى الشريف والشفاء (٣٥٠) . أجرة الحاكم للنظارة بأمور الحلاجين (٢٥٠) . أجرة المتولية (رئاسة اللونجة ١٢٠٠) كما يصرف من صندوق الحرفة على العجزة من أهلها المعوزين

والمصدر الثالث بحث إلياس قدسى وهو مسيحى سورى قدمه إلى مؤتمر المستشرقين ١٨٨٣ (الجلسة السادسة) عن نقابات دمشق سنة ١٨٨٢ . يخبرنا قدسى أن كافة حرف المدينة لها رئيس أعظم وهو (شيخ المشايخ) وأن منصبه وراثى فى عائلة (المجلانى) وأنه لا يمكن إقالته أو استبداله . ويذكر أن أسلافه كانت تعين المشايخ لأكثر من مئتى حرفة وتأمر وتنهى وتقاص وتفصل فى كل مسألة وتحسم كل مشكلة ولديهم يتقاضى الجميع . وكانت سلطته تمتد إلى حق الحكم بالموت . وعلى كل فقد بقيت لديه سلطة سجن رجال النقابة أو جلدهم لوقت طويل

ويعتمد شيخ المشايخ على وقف وراثى ولكن سلطاته أنقصت بعد التنظيمات من زمن السلطان عبد المجيد « فقال تسلط شيخ المشايخ إلى حد غير متناه حتى يسوغ القول أنه غدا محصورا بالتصديق على شيخ حرفة من الحرف بعد أن ينتخبه معلموها » وحتى فى هذه الحالة كان تصديق الحكومة ضروريا فكان البعض خصوصا غير المسلمين يكتفى بهذا دون الرجوع إليه . وكان هذا الشيخ عالما فى زمن قدسى ولكنه يجهل شؤون الأصناف

ونظرا لكثرة واجبات شيخ المشايخ لم يكن باستطاعته تنفيذ كافة أعماله العامة ، فكان يعين موظفا يدعى النقيب وهو يمثل شيخ المشايخ فى الاجتماعات العمومية للحرف أو فى حفلات الترقية ، وكان له عدة نقباء عند ما كانت وظيفته مهمة ولكن فى زمن قدسى اكتفى بواحد وكان عارفا بشؤون الحرف بصورة طيبة

ولكل حرفة شيخ ينتخبه شيوخ الكار ممن اشتهر بحسن الأخلاق والطوية وامتاز بمعرفة أصول الحرفة ، ولا يشترط فيه كونه أكبرهم سنا أو كونه من الشيوخ بل يكفى أن يكون ماهرا محترما يستطيع تمثيل النقابة أمام السلطات . ومع أن المشيخة كانت تنتقل بالإرث فى بعض الحرف إلا أن ذلك يستلزم موافقة

شيوخ الكار وهذا يبقى صفة الانتخاب . ويبقى فى منصبه مدى الحياة ما لم يصدر منه ما يوجب إبداله بسواه

ويلاحظ قدمى أن الانتخاب يجرى من قبل الاساتذة المتقدمين يجتمعون ويتذاكرون ، فإن اتفقوا على شخص انتخب (وإلا عين شيخ المشايخ شيخا) ثم يصادق شيخ المشايخ عليه فى حفلة خاصة

أما واجبات الشيخ فتتلخص فى : أن يعقد مجالس لمصالح الحرفة يترأسها ويسهر على حفظ ارتباط (الكار)، ويقاص من أتى بإخلال فى حق الصنعة . وكثيرا ما يكون مكلفا بإيجاد شغل للفعلة . فيوصى بهم (المعلمين) وله وحده أن (يشد) بالكار (المبتدئين الماهرين) فيصيرون (صناعا) أو (معلمين) ومعه تكون (مخابرة الحكومة) فيما يتعلق بحرفته

ويساعد كل شيخ فى الحرفة (شاويش) يقوم مقام النقيب للشيخ ولكنه ينتخب من قبل الكار . ولم تكن له سلطة خاصة . بل كان رسول الشيخ يبلغ أوامره وينفذه وهذا المنصب قديم

يخبرنا قدمى أن (المبتدئ) أو الأجير — وهو الولد الحديث السن الداخل إلى الحرفة — يشتغل عدة سنين دون معاش أو أجرة ، ولكن البعض كان يستلم أجرا أسبوعيا زهيدا يسمى جمعية . وعندما يبدع المبتدئ فى مهنته يرقى إلى مرتبة صانع وأحيانا إلى مرتبة أستاذ فى نفس الوقت

وكان الصناع فى زمن قدمى يشكلون العمود الفقرى للنقابة وهم يحفظون مستوى الصناعة وأسرارها

ويصف قدمى بتفصيل حفلات الإجازة ، أو الشد . وكانت تجرى بحضور شيخ الحرفة وأساتذتها ونقيب الحرف والشاويش ويتولى الشاويش والنقيب عملية الشد

وتؤخذ العهود على العضو بالمحافظة على أسرار الحرفة والصنع الجيد وأن لا يخون الكار ولا يغش الصنعة بشئ . ثم يتساءل قدمى فى الأخير عن التشابه بين مراسيم الحرف وبين الماسونية الحرة فى أوربا وعن شبهه

ونضيف بعض ملاحظات عن نقابات مصر فى نفس الفترة . فهنا نجد الحرف تحت إشراف رئيس البوليس ويدعى رئيس الحرفة (شيخ الطائفة) وله مجلس من المختارين يدعوه بمثابة محكمة للنقابة . ويرفع المبتدئ إلى درجة أوسطه رأسا دون وجود مرتبة صانع . وهناك نوع من التأمين ضد البطالة والمرض يتعاون فى تحقيقه أعضاء الحرفة . ولن أتطرق هنا إلى (النقابات الوضعية) للنشالين واللصوص وقطاع الطرق؛ وهذه وإن لم تكن جزءا من نقابات الحرف إلا أنها أثرت فى الخط من سمتها

لقد تزعزعت هذه التشكيلات أمام الهزة الأوربية وزالت أو تضاءلت أمام الموجة الجديدة والتنظيمات العالية الحديثة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

ومما مر نستخلص ما يلى : —

١ — أن النقابات الإسلامية نشأت من الشعب وكانت استجابة لحاجات العمال أنفسهم وكان موقفها أحيانا غير ودى أو عدائى للحكم ٢ — ثم نلاحظ أن أصحاب العمل من أستاذ وصانع ومبتدئ يكونون طبقة اجتماعية واحدة فيها مجال التقدم لكل فرد دون تناحر ودون الانقسام الذى ولدته رأسمالية أوربا . وهذا تطور طبيعى لظروف المجتمع الإسلامى الاقتصادية والاجتماعية

٣ — تضم النقابات الاسلامية أفرادا من مختلف الطوائف فى جو من التسامح الاجتماعى والفكرى عكس ماحصل فى الغرب

٤ — للنقابات الاسلامية حياة روحية ومثل خلقية فهى قوة تهذيبية مهنية فى نفس الوقت ولم تقتصر على المهنة

وهذه ناحية مهمة لا نراها فى النقابات الأوربية . ولكن النقابات الاسلامية لم تصل إلى الأهمية السياسية للنقابات فى الغرب وإن كانت لها أدوار هامة أحيانا

وأخيرا يجب أن نذكر أن روح التكتل والانسجام فى المؤسسات العلمية الراقية أو المدارس جعل الطلبة والاساتذة يكونون نقابة . ولهم بعض المراسيم المشتركة مع النقابات مثل اللباس الخاص (الروب) والإجازة . وتشابه الدرجات من تلميذ إلى معيد إلى مدرس إلى أستاذ

هذا ما أمكن عرضه بإيجاز

عبد العزيز الدورى

٥ ـ الباكستان

الحياة الاقتصادية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

الوضع الجغرافي :

أرى لزاماً على قبل أن أتحدث عن الحياة الاقتصادية أن أتناول في كثير من الإيجاز الوضع الجغرافي للباكستان . ذلك أن الحياة الاقتصادية هي أولا وقبل كل شيء من إملاء الجغرافيا، فالعوامل الجغرافية تحتم على قوم أن يكونوا زراعاً وتحتم على آخرين أن يكونوا صناعاً أو تجاراً أو رعاة . من أجل هذا أرى من الواجب علي أن أتحدث عن الطبيعة الجغرافية للباكستان حتى نستطيع فهم حياتها الاقتصادية

تتكون الباكستان من وحدتين جغرافيتين : باكستان الشرقية وباكستان الغربية ، والإقليمان منفصلان يبعدان عن بعضهما بنحو ألف ميل تقريباً

فأما الباكستان الشرقية فتقع بين خطي عرض ٢٠ر٤٥ درجة شمالا و ٢٦ر٣٠ درجة شمالا وبين خطي طول ٨٨ درجة شرقاً و ٩٢ر٣٠ درجة شرقاً وتبلغ مساحتها ٥٣ر٩٢٠ ميلا مربعاً وعدد سكانها ٤٢ر١٢٠ر٠٠٠ نسمة

وتشمل الباكستان الشرقية قسما من السهل الذي ينساب فيه نهرا براهما بترا والكنج وتضم القسم الأكبر من دلتا الكنج ، ويوجد في شمالها الشرقي بعض بقاع جبلية هي أجزاء من شرق جبال الهملايا التي تقع في شمال الهند

أما مناخها فموسمي حار في الصيف إذ تبلغ درجة الحرارة نحو ٨٣ درجة فهرنهيت ويسقط المطر غزيرا في الفترة من منتصف مارس إلى نهاية أكتوبر وذلك بتأثير الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، وأما الشتاء فدفيء إذ تبلغ الحرارة نحو ٦٤ درجة فهرنهيت ولكنه جاف لأن الرياح التي تهب في هذا الفصل تكون الرياح الموسمية الشمالية الشرقية . وهي رياح جافة لأنها تهب من داخل القارة

أما باكستان الغربية فتقع بين خطي عرض ٢٤ درجة شمالا و ٣٧ شمالا وبين خطي طول ٦١ درجة شرقاً و ٧٥ شرقاً . وتبلغ مساحتها ٣١٠ر٢٩٨ ميلا مربعا وعدد سكانها ٣٣ر٥٧٠ر٠٠٠ نسمة

ولكن أراضي الباكستان الغربية ليست سهولا منبسطة مثل أراضي الباكستان الشرقية بل إن طبيعتها تتباين تبايناً كبيرا ، فنجد القسم الشمالي وإقليم بلوخستان جبليا مرتفعا بينما نجد إقليم البنجاب وإقليم السند والإقليم الصحراوي أرضاً سهلة منبسطة

والمناخ في الباكستان الغربية متباين أيضا والتباين واضح جدا في توزيع المطر . فالمطر يسقط غزيرا في المنطقة الشمالية صيفا وسببه الرياح الموسمية ، ويقل نوعا في إقليم البنجاب ولكنه يندر في الإقليم الصحراوي وفي بلوخستان . وأما الشتاء فيغلب فيه الجفاف ولكن تسقط بعض الأمطار في إقليم البنجاب شتاء بسبب وصول أعاصير الرياح المكسية إلى هناك

وأما من حيث الحرارة فالمناخ متطرف : فدرجة الحرارة في يناير تصل نهارا إلى ٧٥ درجة ف ولكنها تهبط ليلا إلى درجة التجمد ، وأما في الصيف فتتراوح نهارا بين ٩٠ ف ، ١٢٠ ف ولكنها تقل عن ذلك كثيرا أثناء الليل

وتوزيع المطر هام جدا ، ذلك لأن حياة النبات تتوقف على الماء فإذا غزر المطر كثف النبات ، وإذا انعدم المطر انعدم الإنبات

والباكستان الشرقية غنية بأمطارها وأنهارها ، فالمتوسط سقوط المطر من ٧٠ بوصة إلى ٤٠٠ بوصة ويجري بها نهر الكنج وفروع دلتاه المتعددة ورافده البرهابترا

وأما باكستان الغربية فيجرى بها نهر السند وفروعه الخمسة ، ونظرا لجفاف المناطق الدنيا من حوض السند كانت لمشروعات الرى فى تلك المنطقة أهمية عظيمة إذ أنه يتوقف عليها تقدم هذه المنطقة إلى حد كبير

ويجدر بى قبل أن أنتهى من هذه المقدمة الجغرافية أن أشير إلى أن باكستان قد ظلمت تماما فى تنفيذ مشروع التقسيم فقد أخذت منها كلكتا وهى أكبر ميناء فى مصب الكنج ، وقد أخذت منها دلهى لأنها اتخذت عاصمة للهندستان ، وكذلك أعطيت بمباى للهندستان فأصبحت العاصمة والموانئ الرئيسية فى حوزتها . وأكثر من هذا لقد رفضت الهندستان أن يسلم باكستان نصيبها من الأموال المضروبة حتى تعجز عن دفع مرتبات موظفيها ويعمها الاضطراب والفوضى فتختنق الدولة الوليدة . ومع هذا كله رضى المسلمون . ألم يصبح لهم وطن مستقل يعيشون فيه أحرارا ، أجل إنه وطن فقير ولكن الله أغناه من فضله

الزراعة :

باكستان دولة زراعية وتعتبر الزراعة المهنة الرئيسية لسكانها ؛ إذ أن ٨٠ ٪ من السكان يشتغلون بالزراعة

وتقدر مساحة الأراضى الزراعية بحوالى ٥٤ مليون فدان وهناك أرض بور يمكن إصلاحها تقدر مساحتها بحوالى ١٤ مليون فدان

ولما كانت كمية المطر فى باكستان الغربية لا تكفى حاجات الزراعة فقد أقامت باكستان نظاما للرى لا يضاهيه إلا نظام الرى فى الولايات المتحدة الأمريكية . إن نهر السند وفروعه تنبع جميعا من جبال هملايا ثم تنحدر جنوبا فوق السهول الفسيحة ثم تلتقى جميعا فتؤلف نهرا هائلا هو نهر السند الذى يجرى جنوبا نحو ألفى ميل حتى يصب فى البحر العربى . ومما لا يحتمل شكا أن هذا يلقى بكميات وافرة من مائه فى البحر فمعد الباكستانيون إلى استغلال هذه المياه فى رى جزء من الأراضى الواسعة الصالحة للزراعة فى بلادهم ، وتحقيقا لهذه الفكرة شقت قنوات حتى تصل المياه إلى الأراضى التى لم تكن لتبلغها وأقيمت السدود لحجز المياه الانتفاع بها فى الرى وفى توليد الكهرباء . ومن أكبر مشروعات الرى فى باكستان الغربية سد سكر المقام على نهر السند قرب مدينة سكر فى حوض السند الأدنى ويبلغ طوله حوالى الميل وهو أكبر سد فى آسيا وتروى مياهه نحو ستة ملايين من الأفدنة ، وتبلغ جملة الأراضى التى تروى بالقنوات نحو ٢٣ مليون فدان؛ وهناك مشروعات لإحياء ستة ملايين فدان من الأراضى البور وجعلها صالحة للزراعة

ويمكن تقسيم غلات باكستان الزراعية إلى قسمين : غلات تستهلك فى الداخل وغلات تصدر إلى الخارج ، فأما غلات النوع الأول فأهمها الأرز والقمح وهما الطعام الأساسى للسكان؛ وتخصص مساحة ثلاثة أخماس مساحة الأراضى الزراعية لهذين المحصولين ، ويزرع الأرز فى باكستان الشرقية ، أما القمح فيزرع معظمه فى باكستان الغربية

وأهم الغلات بعد ذلك الشعير والذرة والقصب والسمسم والسكتان

وأما الغلات التجارية فأهمها :

الجوت : ويزرع فى باكستان الشرقية وتنتج باكستان منه ٨٠ ٪ من المحصول العالمى ، ومعظم مصانع الجوت قائمة فى كلكتا ولذلك فبعد التقسيم اضطرت الهندستان إلى استيراد الجوت من باكستان ، وتعمل باكستان جاهدة على إقامة مصانع لصناعة الجوت فى داخل بلادها ، وتبلغ مساحة الأراضى التى تزرع الجوت مليونى فدان ويقدر المحصول بحوالى ٦٫٨٠٠٫٠٠٠ بالة (البالة = ٤٠٠ رطل)

القطن : يزرع معظمه فى باكستان الغربية وتقدر مساحة الأراضى المزروعة قطنا بحوالى ٢٫٧٠٤٫٠٠٠ فدان والمحصول بحوالى مليونى بالة ، ونوع القطن جيد

الشاى : يعتبر إحدى السلع الهامة التى تصدرها باكستان الشرقية إذ تقدر الكمية التى تنتجها سنويا بحوالى ٤٥ مليون رطل يصدر ٢٠ ٪ منها إلى الخارج

التبغ : ويزرع منه فى باكستان ٣٣ر٧ ٪ من مجموع إنتاج الهند ، وجملة الأراضى المزروعة فى باكستان ٣٠٨٧٠٠ فدانا ومجموع الإنتاج ١٥٦٣٠٠ طنا

التجارة : تعتبر الباكستان أهم دول العالم إنتاجا للجوت وتنتج ١٠ ٪ من محصول القطن العالمى وكميات كبيرة من الصوف وتكون صادرات الباكستان من الجوت والقطن والصوف ٩٠ ٪ من صادراتها

وتصدر الباكستان أيضا كميات وافرة من الشاى وبذرة القطن والتبغ والجلود والسمك المجفف والملح الصخرى وبعض المصنوعات مثل الأدوات الرياضية والآلات الجراحية

وتنتج الباكستان كميات كبيرة من القمح تكفى حاجة سكانها وتفيض ويصدر الفائض وقدره نحو نصف مليون طن إلى الدول الأجنبية وخاصة إنجلترا

أما أهم واردات الباكستان فهو الآلات الصناعية والمواد المصنوعة مثل المنسوجات القطنية والغزل والخيوط القطنية والآلات ومصانع الغزل والسيارات والمصنوعات الحديدية والمواد الكيماوية والأدوية والعقاقير والورق وتكون الآلات الصناعية والمواد المصنوعة ٧٧ ٪ من مجموعة واردات الباكستان

وبريطانيا أولى الدول تجارة مع الباكستان وتليها الولايات المتحدة والهندستان وجنوب أفريقيا وبلجيكا وإيطاليا وفرنسا واليابان وهولندا والاتحاد السوفيتى ومصر

وقد صادفت التجارة صعاباً عند بدء الاستقلال بسبب هجرة التجار الهندوس إلى الهندستان ولكن التجار المسلمين سرعان ما ملأوا الفراغ فنشطت التجارة وتضاعفت حركة التوريد والتصدير

كراتشى : أهم موانىء باكستان الغربية إذ أنها تقع عند مصب نهر السند ومن ثم كانت منفذه التجارى وهى عاصمة دولة الباكستان ، وقد تقدمت بعد ١٩٤٧ (تاريخ الاستقلال) تقدماً كبيرا . ويكفى لإثبات ذلك أن نذكر أن عدد سكانها كان ٤٥٠ر٠٠٠ نسمة فبلغ الآن ١ر١١٨ر٠٠٠ نسمة

وأما باكستان الشرقية فقد حرمت من ميناءها الطبيعى كلكتا ، وأهم موانيها الآن شيتا جونج وهى تتقدم بسرعة لأن تجارة باكستان الشرقية تحولت إليها

قبعة

أبو الفتوح عطية

رفائيل

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمى الواقعى
لشاعر فرنسا الخالد « لامرتين »

قص فيها بأسلوبه الشعرى تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب . وهى كآلام « فرتر » فى دقة الترجمة وقوة الأسلوب طبعت أربع مرات وثمنها

٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

السيدة زبيـــدة

للأستاذ عبد الواحد باش أعيان

ليحفن التاريخ برأســـه إجلالا لكثير من النساء النوابغ اللواتي سجلن أعظم الأعمال والمفاخر في صحائفه ، وللمرأة العربية نصيب كبير في مفاخر التاريخ وروائعه، فمنهن الملكات الحازمات اللائي رفعن ممالكهن للسؤدد والرفعة، ومنهن المحاربات البواسل ، ومنهن الشواعر والأديبات ، ومنهن من سجلن أعمال الخير والإصلاح في كثير من مرافق الحياة

من أشهر هؤلاء النساء النوابغ وأعظمهن أعمالا للخير واهتماما في الإصلاح والتعمير هي الملكة العباسية الهاشمية السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد وأم الأمين وبنت جعفر بن « أبي جعفر المنصور »

ولدت سنة ١٦٥ هجرية في أحضان العز ومهد الدلال ، وترعاها قلوب بني العباس ويحيطها حبهم ورعايتهم ولا سيما جدها الخليفة الحازم أبو جعفر المنصور وكان يؤثرها بعنايته وحبه

وهو الذي سماها زبيدة لما رأى من نعومتها وبياض بشرتها، وقد كانت تجمع إلى الجمال الباهر والأدب العباسي السامي عقلا كبيراً وذكاء نادراً وعلماً وأدباً كبيرين

وفي خلافة عمها المهدي زفت إلى ابن عمها هرون الرشيد فكانت ليلة زفافها من الليالي المشهورة في بغداد يومذاك بالروعة والبهاء والفرح ، وقد نثرت اللآلئ في جنبات طريقها على البسط الوضاءة بأسلاك الذهب . وقد أتى عليها من غالي الجواهر واللآلئ ما أثقلها وعاقها عن السير ، فكانت عند زوجها وقد استأثرت بقلبه وخلص لها من دون جواريه وسراريه اللواتي يملأن قصره ، وقد شغف بها الرشيد واطمأن إلى رأيها وتدبيرها وكمال عقلها حين أصبح خليفة، فأخذ يسترشد برأيها في حل المعضلات من أمور الدولة الإمبراطورية الإسلامية في ذلك العصر الذهبي ، وأطلق يدها في بيت المال تنفق ما تشاء ، وقد أنفقت أموالا عظيمة في الإصلاح والخيرات، تلك الأعمال التي خلدت اسمها بين أعظم نساء العالم كرماً وخلقاً وشرفاً ، وسبقت من تقدمها من نساء الإسلام في الأعمال. ولقد قيل إنها أنفقت فيما ابتنت في طريق مكة من مساجد ومنازل ومشارب مليونا وسبعمائة ألف دينار زيادة على ما أنفقته « ويقدر بأكثر من مليون دينار » حين أوصلت الماء إلى مكة في الحجاز من العين المعروفة بعين زبيدة ، فقد كان المكيون والحجاج ينقلون الماء من مسافات بعيدة مضنية لشربهم وريهم وسقي حيواناتهم، وكانوا يتكلفون بذلك ويجهدهم فلما حجت الملكة المصلحة السيدة زبيدة أمرت بإحضار المهندسين والعمال وأن يقدروا كلفة العمل وما يتطلبه من المال فبلغ مبلغاً كبيراً استفظعه خازنها فقالت كلمتها الخالدة « اصرف ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً » فلم تزل حتى تم لها ما أرادت ووصل الماء إلى مكة من مسافة اثني عشر ميلا في أرض وعرة المسالك . ولا زال منذ عهدها إلى اليوم . ولها أعمال أخرى لا تقل عما تقدم فخراً ومنفعة ؛ فقد ابتنت المساجد الكبيرة الواسعة في أطراف بغداد ليتعبد فيها المسلمون فابتنت مسجداً قبالة دار الخلافة يسمى مسجد زبيدة وآخر في أراضيها وأملاكها الخاصة المعروفة بقطيعة أم جعفر وثالث بين باب خراسان ودار الرقيق ورابعاً البيت الذي ولد فيه الرسول بمكة ويسمى دار ابن يوسف، وكانت إلى كل هذا توزع العطايا والهبات على الفقراء والمحتاجين والأيامى كما كانت لا تتردد في مساعدة ذوي الحاجة من كبار رجال الدولة والمملكة

ولقد كانت أما رؤوما تحدو على ابنها الوحيد محمد الأمين وتعنى به عناية كبرى وتحبه حبا جما ، فمن ذلك ما رواه خلف الأحمر وكان قد دعاه الرشيد لتدريس ابنه الأمين يقول : جاءتني جارية يوماً برسالة من أم جعفر « زبيدة » تعزم علي بالكف عن معاملته بالشدة في تعليمه وتأديبه وأن أجعل له وقتاً لاستجمام بدنه فقلت : الأمير قد عظم قدره وبعد صيته . وموقعه من أمير المؤمنين ومكانه من ولاية العهد لا يحتملان التقصير ولا يقبل منه الخطأ ولا يرضى منه الزلل في النطق والجهل بالشرائع والعمى عن الأمور التي فيها قوام السلطان وإحكام

السياسة » فقالت صدقت غير أنها والدة لا تملك نفسها ولا تقدر على كف إشفاقها »

وعلى ذكر ابنها الأمين ، فإنه لم يكن بين خلفاء الإسلام من كان أبوه وأمه من بني هاشم غير علي بن أبي طالب وابنه الحسين والأمين بن الرشيد وفي ذلك يقول أبو الهذيل الشاعر :

ملك أبوه وأمه من نبعة منها سراج الأمة الوهاج
شربت بمكة من ذرى بطحائها ماء النبوة ليس فيه مزاج

ولقد ماتت للأمين بنت اسمها (أم موسى) كان شديد الكلف والحب لها فجزع عليها جزعاً شديداً فسمعت بذلك زبيدة فقدمت إليه وعزته ببلاغتها

نفسي فداؤك لا يذهب بك اللهف
فقي بقائك ممن قد مضى خلف
عوضت موسى فهانت كل مرزئة
ما بعد موسى على مفقودة أسف

وكان لها قصور عديدة جميلة تتناسب مع مكانة الملكة الشابة ، منها قصر السلام وقصر القرار وغيرها في ضيعاتها وأملاكها الواسعة . وكانت على جانب كبير من الكرم والسخاء فيقول المسعودي (كتبت مرة تسأل أبا يوسف « رئيس القضاة في بغداد » تستفتيه في مسألة فأفتاها بما أوجبت الشريعة وكان يوافق مرادها فأكرمته بحق من فضة فيه ألوان من الطيب (الروائح) وجام ذهب فيه دراهم وجام فضة فيه دنانير وغلمان ونخت فيه ثياب وحمار وبغل ... الخ)

وذكر بعض المؤرخين أن لزبيدة يدا كبرى في نكبة البرامكة ، فقد كانت تخشى من جعفر البرمكي على ابنها الأمين وكان يقوم بأمر المأمون في ولاية العهد . ولكن في وصيتها التاريخية لقائد جيش الأمين علي بن عيسى حين خرج بجيشه يريد محاربة المأمون وأسره ، في تلك الوصية الخالدة تظهر النفس الكبيرة التي تترفع عن الدنايا والقسوة والأحقاد وقد قالت له (يا علي إن أمير المؤمنين وإن كان ولدي فإنني على عبدالله (المأمون) مستعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى وإنما ولدي ملك نافس أخاه في سلطان ، فاعرف لعبدالله حق ولادته وأخوته ، ولا تساوه في السير ولا تركب قبله إذا ركب وإذا شتمك فاحتمل)

وكانت على جانب كبير من الآداب والأخلاق كما كانت أديبة بارعة وشاعرة حساسة ، وإليك أبياتاً رقيقة باكية ترثي بها ولدها الأمين حين سمعت بقتله :

أودى بألفين من لم يترك الناسا
فامنح فؤادك من مقتك الباسا
لما رأيت المنايا قد تصدن له
أصبن منه سواد القلب والراسا
فبت مرتكئاً أرعى النجوم له
إخال سنته في الليل قرطاسا
والموت كان به ، والهم قارنه
حتى سقاه التي أودى بها الكاسا
رزئته حين باهيت الرجال به
وقد بنيت به للدهر آساسا
فليس من مات مردودا لنا أبدا
حتى يرد علينا فيله ناسا

هذه لمحة من سلسلة أعمال جليلة خلدتها تلك الملكة العباسية الطاهرة ، وتلمس منها تدبيرها وأخلاقها وأعمالها الجبارة الباقية على مدى الدهر

ولقد انطوت حياة هذه الملكة الكريمة سنة ٢١٦ هـ في بغداد بعد حياة كلها خير وجلال وسؤدد

البصرة — العراق عبدالواحد باسم أمين العباسي

ظهر المجلد الثالث
من كتاب
وحي الرسالة
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

شعراء الشباب

للأستاذ أحمد أحمد المجمى

ظل الناس يتساءلون فى جزع ولهفة وحيرة عن الشاعر الفرد الذى يخلف أمير الشعراء أو شاعر النيل بعد وفاة شوقى وحافظ بسنوات ، وكانت هناك يومئذ أسماء لامعة نذكر فى مجال التفضيل ؛ ربما مر أحدهم أن يملأ فراغا شاغرا لسواه ، وربما غضب بعضهم أن يكون بوقا لغيره ولو انعقد عليه الإجماع ... من هذه الأسماء اللامعة : العقاد ومطران ومحرم والجارم

وبينما كان الناس يختلفون فيما بينهم على هذه الأسماء وغيرها . كان هناك شبه إجماع على شاعر شاب ، غنى الشباب بشعره الوجدانى ، فاتفقوا ، أو اتفق أهل الفن منهم خاصة ، على تسميته « شاعر الشباب »

أطلق لقب « شاعر الشباب » أول ما أطلق فى مصر على الأستاذ أحمد رامى ، وظل وحده يستمتع بهذا اللقب الجميل حينا من الدهر ، ربما يربو على عشر سنين بكثير ؛ حتى زحفت جموع الشعراء من كل صوب ، وتعددت ألوان الشعر فى كل مجال ، وغمرت الصحف والمجلات والكتب والإذاعة موجة واسعة متدفقة جياشة بالشعر الجديد . فكان من العسير على شاعر فنانى واحد أن يثبت أمام هذه الجموع الزاحفة كالبنيان المرصوص

وهال الناس هذا الموكب الضخم الفخم كأنه مهرجان رائع فى ميدان فسيح يشق أجواز الفضاء بحناجر قوية وأوتار صاخبة وأبواق مدوية تكاد تصم الآذان ؛ ولم يستطع الناس — أول الأمر — أن يميزوا بين هذه الوجوه المتلاحقة والصور المتتابعة فى وسط الزحام ؛ فسموهم جميعا « شعراء الشباب » !

فى العشرين سنة الأخيرة أطلقت كلمة « شعراء الشباب » على أكثر من ثلاثين شاعرا ، وما تزال تطلق على نحو عشرين شاعرا إلى الآن

وإذا كان من العسير إحصاء أسماء جميع شعراء الشباب فى مقال واحد — فمن السهل اليسير الإشارة إلى بعضهم على سبيل التمثيل ؛ لا الحصر والتسجيل

شاعران لا ثالث لهما اشرأبت إليهما الأعناق وتفردا بالشاعرية الخصبة والخيال الملهم والملكة الفنية التى تندر فى كل زمان ومكان ، بين أرباب البيان وأعلام الشعر الرفيع .. شاعران اثنان لا ثالث لهما : على محمود طه وإبراهيم ناجى . لكل من هذين الشاعرين جو فسيح يحلق فيه ، وخيال مجنح يصل به إلى آفاق المجد والخلود

كان هذان الشاعران فى مقدمة الجيل الأول من شعراء الشباب ، منذ عشرين سنة ، وتدفقت وفود الشعراء على الميدان الأدبى بعد ذلك ، وظل على محمود طه وإبراهيم ناجى قبلة الأنظار ومهوى الأفئدة وموضع الإعجاب !

وظهرت أسماء لامعة بدأت تشق طريقها بين الزحام ، وبدأ إنتاج كل شاعر منهم يتسم بسمة خاصة إذا استسلمت حينا للتقليد فقد انطبعت فيما بعد بطابع التجديد . من هؤلاء الشعراء : سيد قطب ومحمود غنيم ومحمود حسن إسماعيل وعبد العزيز عتيق وعبد العزيز محمد خليل ومحمد عبد الغنى حسن وعلى متولى صلاح . وبعد سنوات قلائل لاحت فى الجو الأدبى نجوم جديدة من الشعراء فى شعرهم قوة وفتوة وتدفق وتنوع والتماع ، من هؤلاء الشعراء : أحمد مخيمر والعوضى الوكيل وطاهر أبو فاشا وأحمد عبد المجيد الغزالى ومحمد هارون الحلو وعلى الجبلاطى وعبد العظيم بدوى

وهنا لا بد أن أحيى « دار العلوم » تحية عاطرة بأريج الحمد والثناء ، تلك المنارة الرفيعة للأدب العربى التى انبثقت منها كل هذه الأضواء ؛ لجميع الشعراء السابقين — فى الفترة الأخيرة — وغيرهم كثيرون ... هدايا إلى الشعر من دار العلوم .. دار العلوم أيام أن كانت « مدرسة » أما بعد أن صارت « كلية » جامعية فحسب المتخرج فيها أن يصيح أمام مفتش اللغة العربية : أنا من حملة الليسانس !!

وبعد فترة وجيزة من الزمن لاحت بشائر نهضة شعرية جديدة ، بعد ما اتضحت مدارس الشعر أمام الشباب ، وارتسمت الفوارق المميزة بين الجديد والقديم ، وتعددت المناهج المختلفة

أمام الأنظار ، فسلك سبيل القافلة الصاعدة إلى السماء ، هؤلاء الشعراء : عبد الرحمن الخميسي ومحمود السيد شعبان ومصطفى علي عبد الرحمن وإبراهيم محمد نجا وفؤاد كامل وعثمان حلمي وحسين البشبيشي وعبد الغني سلامة ومحمد السيد شحاته (شاعر البراري) وعبد العليم عيسى

وبعد وقت قصير لفتت الأنظار وجوه جديدة ، وخاضت المعركة أقلام ناشئة ، في إنتاجها الشعري حرارة الشباب ، وفي نزعاتها الفنية وثبات الخيال ، وإن كان بعضها لم يستقر بعد ، وهذه الفرقة هي التي تحتل الآن أماكنها المناسبة في الصحف والمجلات ، من هؤلاء الشعراء : كمال نشأت وكيلاني حسن سند ومحمد رجب البيومي ومحمد الصادق سعود وتوفيق عوض أباظة وعبد العزيز السعدني ومحمد مفتاح الفيتوري ومحمد سلامة مصطفى ومحمد أحمد سالم وعمر عبد العزيز

وليس من السهل — ولا من اللائق أيضا — أن نرتب هذه الجموع الزاخرة ترتيبا تنازليا — أو تصاعديا — كترتيب تلاميذ المدارس بحسب درجات الامتحان ؛ فهذا عسير جد عسير ، لتنوع المذاهب وتعدد الألوان

ولكن من السهل النص على أن هؤلاء الشعراء جميعا من الممكن تقسيمهم إلى أربع طوائف متميزة : الطائفة الأولى جماعة الأحرار ؛ لا يتبع الشاعر منهم أحدا بالذات ، وليست له قدوة يحتذيها ولا إمام يأتم به ويسعى على هداه ، وإنما لكل منهم نهجه الخاص وطريقه المعلوم وشخصيته المتفردة . وأما الطوائف الثلاث الأخرى ، فطائفة تتبع شعر العقاد وطائفة تتبع نثر الزيات وطائفة تتبع زجل بيرم التونسي !

لست أمزح ولا أهزل حين أقول جادا : إن طائفة من شعراء الشباب المعروفين ، ينحون في الشعر نحو بيرم التونسي في الزجل ! وليس معنى هذا أنهم يخطئون السبيل ، أو يرجعون القهقرى ؛ فرب قصيدة واحدة من الزجل — الشعر الشعبي — خير من ديوان كامل من شعر فلان وفلان ، وسيأتيك البيان !

وإن مما يؤسف له حقا أن يلتفت الناقد الأدبي إلى ميدان شعراء الشباب الآن فلا يرى إلا القليل. فينعم النظر ويعد البصر إلى هنا وهناك فلا يرى إلا أشباحا تجري في الظلام وراء تفاهات وحماقات لا تغني ولا تسمن من جوع

لقد تفرق الجمع أيدي سبا . وانصرفوا — أو كادوا ينصرفون عن الشعر الذي خلقوا له وارتفعوا به إلى القمة ! ولكن يبدو أنها قمة الحضيض إن صح هذا التعبير

بعض الشعراء استهوته الصحافة اليومية أو الأسبوعية فأدلى دلوه في الدلاء وعلى الشعراء العفاء. وبعضهم انخدع بالإذاعة فاستسلم لما يطلب منه من القصائد والتواشيح لقاء أجر معلوم ؛ وبعضهم كل همه الملاوات والترقيات والاستثناءات في كل عهد وبأي ثمن . وبعضهم فارق لأذنيه في « شرب العرق ولعب الورق » ، وبعضهم اتخذ الكتابة والتأليف حرفة مجدية ... وأخيراً جدا اهتدى « بعضهم » إلى تقليمة ظريفة تريحه من كل هذا العناء . . افتتاح « دكان شعر » لبيع قصائد المناسبات

مأساة متعددة الجوانب ، مختلفة الأشكال ، ولكن سببها واحد على كل حال . سببها أن الدولة لا تقدر الشعراء حق التقدير ، فهم يبذلون كل جهودهم للحصول على المال من أيسر طريق ، باسم الشعر في الظاهر

حرام على هذه المواهب الفنية القوية الجبارة أن تطأ الشعر بالنعال وأن تضعه هذا الوضع المهين ؛ وإنه لشيء نفيس مقدس يصل بصاحبه إلى صميم الخلود ، لا قشور المظاهر الجوفاء !

نريد الإخلاص للشعر ، والعكوف على الشعر ، والاهتمام بالشعر ، يا شعراء الشباب ! أما أن يضيع العمر على هذا النحو فرحم الله الشعر والشعراء !

قليل لدى العمر أقضيه في الشعر فمن لي بأعمار الكواكب والبدر !

إسماعيل بن القاسم

المعروف بأبي العتاهية

للأستاذ محمد الكفراوي

مقدمة :

يروى صاحب مسالك الأبصار (١) أن أبا العلاء المعرى كان يقول كلما أراد إنشاد شيء من شعر أبي العتاهية : قال الداهية أبو العتاهية ، وتلك العبارة من أبي العلاء المعروف بدقته وعمقه تريبنا مدى ما يتعرض له الباحث في حياة شاعرنا من صعوبات وما يواجهه من مشاكل ، وذلك لأن من لوازم الدهاة من الناس الالتواء والغموض مما يجعل التعرف على مقاصدهم مما يفعلون ويقولون صعباً . والحق أن الناظر في حياة أبي العتاهية أو القارئ لشعره لا يكاد يفرغ مما يصادفه من مشاكل تريد حلولا ، أو أسئلة غامضة تتطلب إجابة شافية

وأهم تلك المشاكل وأشدها تعقيداً هو تحول الشاعر في سنة ثمانين ومائة للهجرة من شاعر حب وغناء إلى شاعر حزين متشائم لا عمل له إلا تزهيد الناس في الحياة وتنفيرهم من شهواتها ، والإلحاح عليهم أن يتجهوا بقلوبهم وأعمالهم إلى ما هو خير منها

(١) ص ١٣٩

ثلاثون عاماً من حياتي قضيتها ... ولم أقض حق الشعر مهما سما شعري

لدى من الأفكار دنيا رحيبة ... رحابة آفاق السموات في فكري

يجيش بها صدري ويثقل بهادي ... وألبث فيها كالمقيم على الجمر

أغوص وأطفو فوق بحور من الشعر ... وأسبح من بحر لبحر إلى بحر

كان هذا منذ سبعة أعوام .. أما الآن ، ففي الأسبوع القادم وفي الأسابيع التالية إن شاء الله ، تفصيل ما أجملت وتقييد ما أرسلت في شعراء الشباب

أحمد أحمد العجمي

وتلك هي الدار الآخرة

ولو أن الشاعر قد جعل من حياته الخاصة صورة صادقة لما يردده في شعره من دعوة إلى الزهد في الحياة ، لقلنا مع القائلين إنه قد سئم الحياة بعد أن رفضت حبيبة نفسه عتبة الزواج منه ، ومال إلى حياة الزهاد والصالحين ، وأسرف في ذلك الميل حتى لم يعد له ما يشغله إلا التحدث عنها والترويج لها في شعره . أما وإنه ما زال حريصاً على الدنيا أشد الحرص حتى بعد تحوله إلى ما يشبه حياة الزهاد ، فلا وجه إذن لإدخاله فيهم . وهنا يعرض ذلك السؤال الذي لم يصادف جواباً مقنعاً في كتابة السابقين من مؤرخي الأدب العربي ألا وهو : أي شيء كان إذن سلوك أبي العتاهية إذا لم يكن زاهداً بالمعنى الذي نعرفه ، وأي شيء كان يدفعه إلى ذلك السلوك المتناقض الغريب ؟

لعل الإجابة عن هذا السؤال هي أهم وأبرز بحث في الدراسة التي نحن بصدد التقديم لها الآن ، وقد استنفدت الكثير من وقت المؤلف ومجهوده ، إذ وجد نفسه مضطراً أن يرجع إلى بيئة الشاعر وطفولته ، لعله يجد فيها ما يلقي شيئاً من الضوء على ما اكتنف حياته من غموض واضطراب ، وبعد دراسة طويلة مضنية أسفرت الحقيقة للباحث الذي تمكن من ربط الانقلابات والاضطرابات التي طرأت على الشاعر في مختلف مراحل حياته — ومن بينها تحوله الصوري إلى حياة الزهاد — بما صادفه أثناء طفولته من ألوان البؤس والشقاء ، وما أصابه في ذلك الحين من أمراض نفسية ، وقد كان أشد تلك الأمراض تأثيراً على حياته وأعظمها إيلاماً له مولده الوضيع الذي جر عليه كثيراً من الخزي ، وملأ قلبه حقداً على ذوي الجاه واليسار من أهل عصره

على أن عوامل أخرى قد انضمت إلى تلك التجارب القاسية والأمراض النفسية التي صادفت الشاعر في طفولته ، فأحدثت مجتمعة ذلك الانفجار الذي طرأ على حياة الشاعر سنة ثمانين ومائة للهجرة ، والذي كان يعتبر حتى كتابة هذه السطور نوعاً من الزهد في الحياة (٢) . وأهم تلك العوامل هو سخطه على

(٢) المسعودي مروج الذهب الجزء السادس ص٣٣٦ وأيضاً نيكلسون L.H.A ص ٢٩٦

هارون الرشيد لأسباب سنذكرها فيما بعد ، واستقلال الفضل ابن الربيع وزبيدة زوج الرشيد لذلك السخط . فكل من الفضل وزبيدة كان ناقماً على الحياة الصاخبة العابثة التي كان يحياها هارون بين جواريه الحسان وبصحبة وزيره جعفر البرمكي ، لما في تلك الحياة من صرف للخليفة عن زوجه من جهة؛ وإضعاف لقدر الفضل بن الربيع من جهة كما سيأتي تفصيل ذلك . وقد وجدا في أبي العتاهية ضالتهم المنشودة ، فهو ساخط على الحياة والأحياء وعلى الخليفة وحاشيته بنوع خاص ، ورأيا في شعره خير وسيلة للتشهير باللاهي ورواده ، وبالتالي خير وسيلة للحد من نشاط الرشيد في ذلك الاتجاه الذي لا يرضيان فيه

وهكذا تحول الشاعر من القول في الحب والغزل إلى الزهيد في الحياة والتنفير منها ومن شهواتها وملاذها متعاملا أثناء ذلك على ذوي الجاه واليسار من بني عصره . ومع أن ذلك النوع من الشعر لم يكن في الكثير الغالب إلا تعبيراً عن نفس الشاعر الموتورة وتعبيراً عن عواطفه المكبوتة ، ومن ثم لم يكن يستحق عليه كبير جزاء ، إلا أن الفضل وزبيدة لم يبخلا على الشاعر بالتشجيع المادي والأدبي لما كان في شعره من خدمة لأغراضهما

هذه سطور قلائل لم نقصد بها إلا أن نعرض صورة مصغرة لأحد الموضوعات التي تعرض لها بحثنا . وإنا لنأمل أن يجد القارئ لما كتبناه عن أبي العتاهية إجابة لكل ما يجول في نفسه من أسئلة أو خواطر

هذا وقد قسمنا البحث إلى ستة أبواب

الأول : يبحث في تأثير بيئته المضطربة ومنبته الوضيع على حياته

الثاني : يتحدث عن حبه الفاشل وإلى أي حد كان سبباً في تحوله إلى ما عرف باسم الزهد

الثالث : علاقته بالرشيد والفضل وزبيدة ، واندماجه في السياسة

الرابع : دراسة إنتاجه الشعري بعد سنة ثمانين ومائة ، ومعرفة مدى تصويره لأفكاره

الخامس : يبحث في عقيدة الشاعر

السادس : فيه نقد أدبي لشعره

ولقوله وبيئته :

ولد أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم في الكوفة سنة ثمانين ومائة للهجرة ، وكان أبوه القاسم يشتغل حجاما بها . أما هو فكان يبيع الجرار ، ولكنه ما لبث أن اعتزل تلك المهنة واشتغل بقرض الشعر قاصدا التكسب به . وحين سطع نجمه وضاقت به الكوفة ذهب إلى بغداد وجاهد حتى وصل ذكره إلى سمع الخليفة المهدي الذي أذن له في إنشاد الشعر بين يديه وأجزل له العطاء . ولكن خلافا شديدا نشب بين الخليفة والشاعر بسبب حب الأخير لإحدى جواري الأول وذكره لها في شعره مما جعل الخليفة يغضب عليه ويضطهده . وحين مات المهدي اتصل الشاعر بابنه الهادي ثم الرشيد ، وبعد عشر سنوات قضاها في خدمة هارون كان أثناءها محل عطفه ورعايته ، ترك الشعر الغنائي الذي كان يؤلفه للخليفة وهجر مجلسه ، ولبس مسوح الزهاد ، وأخذ يتحدث عن الموت والقبر ويضع من قدر الدنيا وأهلها ، ويدعو الناس إلى الزهد فيها ، والبعد عن ملاذها وملاهيها ، وينصحهم بالعمل للآخرة ونعيمها . تلك فكرة يسيرة عن أبي العتاهية كما يصوره التاريخ ويتصوره الناس أحببنا أن نقدمها بين يدي بحثنا

والآن نعود إلى إبداء رأينا في الشاعر . ولابد لمن يريد أن يدرس حياة الشاعر ويفهم شعره حق الفهم ، لابد له من معرفة الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ذلك الانقلاب الخطير الذي طرأ على حياته سنة ثمانين ومائة للهجرة ، والذي أشرنا إليه من قبل ، وبدون الوقوف على ذلك الانقلاب وأسبابه لا يمكن لنا أن نفهم كل ما جاء بعده من أشعار مع أن معظم إنتاج الشاعر وكل ما يعرف باسم الزهديات ، قد نظمه الشاعر بعد ذلك التاريخ؛ ولكننا لن نستطيع معرفة أسباب ذلك الانقلاب وأسراره حتى نعرف الكثير عن بيئته الشاعر وأسرته وطفولته لنتبين مدى تأثير كل ذلك على حياته

والمعروف عن الفترة التي ولد فيها الشاعر ونشأ فيها ، أنها كانت مليئة بالفتن والاضطرابات ، إذ أنه ولد قبيل سقوط الدولة الأموية وقيام العباسية . فإذا أضفنا إلى ذلك أن الكوفة التي

ولد بها وتربى فيها كانت مركز نشاط مناهضي الحكم الأموي من عباسيين وعلويين ، وكانت لذلك مسرحا لكثير من مناظر ذلك النضال المرير ، كان معنى ذلك أن الشاعر قد رأى وسمع أشياء طفولته بكثير من تلك الحوادث الدامية . وجدير بمثله أن يضيق ذرعا بالحياة والأحياء ، وأن ينظر دائما إلى المستقبل نظرة اليائس المتشائم . وإنه لمن المؤكد أن روح اليأس والقنوط التي يصادفها القارئ لشعر أبي العتاهية ، قد تمكنت من نفس الشاعر منذ ذلك الحين المبكر ولا سيما إذا لاحظنا أن أباه كان حجاما وكان بطبيعة عمله من ألصق الناس بتلك المناظر الدامية

وإذا كنا بالرجوع إلى بيئة الشاعر وطفولته قد استطعنا أن نهتدي إلى أحد تلك العوامل التي أدت إلى شيوع روح التشاؤم في شعر أبي العتاهية فليس يعيينا أن نتلمس الأسباب التي دفعت به إلى الحقد الشديد على ذوي اليسار والجاه من بني عصره حقدا يظهر واضحا في إنتاجه الأدبي بعد سنة ثمانين ومائة للهجرة، كما سنذكره في حينه . وقد اتضح لنا من تلك الدراسة التمهيدية أن نقمته عليهم كانت أثرا من آثار الضعة والخمول اللذين أحاطا بنسبه . فقد كان آباؤه من التفاهة بحيث لم يكن لهم نسب معروف ، فهو عربي في قول بعض الناس ومولى على رأي آخرين . ثم نراه يضطرب في ولائه فيتولى مندلا وحبان المنزيين تارة ، ومنصور بن يزيد خال الخليفة تارة أخرى . ولكن ذلك الغموض والخمول لم يكن كل مايفسد على الشاعر حياته كلما ذكر آباؤه وأجداده ، فهناك والده الذي كان يشتغل حجاما ، وقد كان ازدراء الناس لتلك المهنة وأهلها شديدا ، ولا أدل على ذلك من الفقهاء — برغم مايناديء به الإسلام من مساواة بين جميع المسلمين — لم يجدوا بدا من الخضوع لتقاليد العصر والحكم بعدم جواز زواج ابن الحجام من طبقة غير طبقته إلا في حالات خاصة ، كأن الخزي والعار الذي ألصق به شر مستطير يجب ألا يتمداه إلى سواه

ولدينا من الأدلة ما يثبت أن أبا العتاهية كان وهو لا يزال صبيا يشعر بضآلة شأنه ويتألم لموقف مجتمعه منه ونظرته إليه . فالأغاني يحدثنا أن قصابا تشاجر مع أبي العتاهية وشج رأسه فأسال دمه ودماه نبطيا ، وذهب الصبي المسكين إلى مواليه يبكي وينتحب ويسألهم أن يمدوا إليه يد المعونة ، وليست تلك المعونة هي وقف الدم الذي يسيل منه ، ولكن نحو ما أصابه من عار حين قال له القصاب « يا نبطي » ، والسبيل إلى نحو ذلك العار هو أن يعلن أولياؤه من عنزة أنه عنزي وقد كان . وما حادث القصاب إلا نموذج لحوادث أخرى كثيرة تكررت وجرت على الشاعر كثيرا من الخزي والشعور بالضعة

ومن الحق أن يقال إن الشاعر كاد ينسى أو يتناسى ماعر به في تلك الفترة من تجارب قاسية ، فقد استقامت أموره ولمع نجمه في سماء المجتمع حين صار شاعرا مجيدا بعد أن كان بائع خزف مهين ، ولكن حدثا جللا قد عرض له فكدر عليه نشوة النجاح وأعاد إلى ذاكرته صورة الماضي البغيض وزاده إيمانا بأن الحياة ليست إلا موطنا للشقاء والألم ، وأعطاه دليلا جديدا على فساد نظام المجتمع ، ذلك هو حبه لمتبة وهو ما سيكون موضوع حديثنا في المقال التالي إن شاء الله

للكلام صلة

محمد الكتبراوي

جامعة فؤاد الأول

يعلن المعهد العلمي الملكي لعلوم البحار بجامعة فؤاد الأول عن خلو وظيفة أستاذ مساعد(ب) ومدرس أ للأحياء البحرية بمحطة القردقة . ويمنح الأستاذ المساعد بدل صحراء ثلثمائة جنيه والمدرس أ مائتين وسبعين جنيها سنويا ، وفي حالة تعيين غير المصريين يكون التعيين مبدئيا بعقد لمدة سنتين . وإذا كان الرشح خارج القطر يمنح مصاريف السفر ويشترط في الطالب أن يكون مستوفيا الشروط الجامعية لكل وظيفة . وتقدم الطلبات إلى مدير المعهد بجامعة فؤاد الأول بالجيزة ويجب أن يشتمل الطلب على بيان واف لتاريخ الطالب العلمي ومؤهلاته وبحوثه كما يجب أن تقدم الطلبات في موعد غايته خمسة عشر يوما من تاريخ الاعلان ١٥١٦

شخصية

الاستاذ حبيب الزحلاوى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

طائف من الإلهام البصير طاف فى ذهن كبير حكيم منا أن يدعونا إلى وليمة ... وما كاد الجمع المدعو يلتف حول مائدة ذلك الرفيق الداعى ، وهى تماثل فى الشكل لا فى النوع الموائد التى كانت تنشر وتطوى على عجل فى ميادين القتال ، حتى انبسطت أسارير كل نفس ، وابتسم كل ثغر ، وارتسم السرور على كل محيا ، ونصع كل جبين ، ولا أقول «اختفى» بل أقول «تبرقع» الأكفهرار والتجهم والتوجس ؛ كأن حدسا لدنيا شاع فى كل نفس يهمس أن خلف الصفاء فى موسم الشتاء سحبا وبروقا ورعودا مقبلة ، وقد بدت طلائع غيومها حين وقف رب الدعوة يرحب بالمدعوين ويقول :

الشام أيها الإخوان ، بيت واحد تسكنه أسرة واحدة متفرعة كأغصان الشجرة ، والفروع الكبيرة فيها إنما هى قواعد ثابتة لعرش عربى ، وصولجان إسلامى ، تبذل الأرواح من أجلهما والمحافظة عليهما

لم تنطو المائدة على عجل كما كانت تنشر وتطوى فى ميدان الجهاد ، بل تجلت طبيعة الشامى على حقيقتها فى المباسطة والمزاح والنكتة ، وهى لا تختلف عما هو مفطور عليه من الرزانة والجد إلا فى الإمعان بالعمق ، والإمعان فى الضلالة ، والإمعان فى الإيلام . ودارت أحاديث ، وجرى عتاب ، وانجلت أمور ، واتضحت مسائل ، وانقشعت من ظلمات الغيوم وقائع ، وافتضح سر الدساس المنافق ، وبرز وجه إبليس بسمته المعهودة ، وحركة التواء عنقه التقليدية ، وكاد إبليس الرجيم ـ عليه اللعنة المؤبدة ـ يقول « خذونى »

نظرت إلى وجه « حصل أفندى » هذا الشاعر الذى طالما وقف فى الناس منتصب القامة ، شامخ الأنف ، رافع الرأس ، ينشد القصيد فيطرب ، يتلاعب بالعواطف ، ويهز النفوس . لقد رأيته الليلة ذابل العين ، كسيف النظر ، منحنى الرأس ، كسير النفس ، ذليل الروح ، فتذكرت موقفا لشاعر معاصر وقف أمام إسماعيل صدقى ثم بين يدى مصطفى النحاس ، فتخيلته « حصل أفندى » وقلت إن هذا هو ذاك بمجره وبحره ، وعينه وميته ، بنفاقه وكذبه ؛ فرثيت لحال الشاعرين . نظرت إلى وجوه الرفاق فإذا بهم يخرجون على توقعهم لرب الدار صاحب الدعوة ، وعلى تقاليدهم فى الترفع عن الضعيف المهين ، والتعاظم على الذليل الحقير ، وكادوا يفتكون بذلك الشاعر الآثم ، وقد رأيت « حصل أفندى » حسان الثورة ، شاعر العرب والإسلام ، ينكمش ويتلعثم ويلصق جسمه بمقعده وسرعان ما وقف صاحب الدعوة ، ذلك الرجل الواسع الحيلة ، الذى رسم خطته بحكمة وتدبر وقال : ليس فينا من لم يقم بنصيبه فى قتال الأعداء ، ولذلك أقترح تشكيل هيئة حاكمة منكم كالتى كنا نشكلها فى ميادين الثورة لمحاكمة من يخرجون على مبادئها

لم يطل النائب العام كلامه فى بسط وقائع الجريمة لأن الخائن قد خانه دهاؤه وذكاؤه فاعترف بجريمته وعزا وقوعها إلى وسوسة الشيطان ، وطلب بذل وضراعة أن يكون مستقبل أولاده رهينة عند إخوان عرفوه فى حالتى قدرته على النفع وعلى الضرر

اتجهت الأنظار صوب رئيس المحكمة ، وتعلقت أنفاس اللئيم فى شفتى هذا الحاكم الذى لا مرد لحكمه ... وسرعان ما سمعناه يخاطب الجانى بقوله : ليس لى أن أدينك يا « حصل أفندى » بعد اعترافك . لقد كنت فيما مضى أستمد قوة حكمى من الخروج على القانون ، أما الآن فكلنا خاضع لأحكام القانون وليس فينا ، فيما أعتقد ، من يرضى بإدانتك والحكم عليك ، فلك وحدك أن تحكم على نفسك

توهمت أن يد الشاعر امتدت إلى مسدسه تنتزعه من جرابه لتفرغ منه رصاصة فى صدغه ولكن حصل أفندى كان فى شبه ذهول أو غيبوبة

علت الأصوات بالاحتجاج من كل جانب وقد أسكتها

الرئيس بإشارة منه وقال : تعرفون أيها الإخوان أني أنا الذي أطلقت اسم « حصل أفندي » على صاحبنا هذا الذي كنتم تقولون إنه شاعر العرب والإسلام وإني حين كنيته تلك الكنية احتياطا وارتجالا لم أكن أتوقع أن الحوادث وتطوراتها سترفع القناع عن داء دفين ، وعلة لابدة في نفس هذا الذي كان دائما في مقدمة صفوف المجاهدين وقد انقلب فأضحى في طليعة أجراء المستعمرين

لبس بيت ابن الوردي « لا تقل أصلي وفصلي » هو التخريجة الوحيدة في هذه القصيدة التي تدل على سذاجة نفس ناظمها وتفكيره الضحل ، وهذا عيب شائع عند من يتشهدون بقول الشاعر احتياطا وبدون روية

لا أظن أن ابن الوردي كذاب منافق ، إنما المنافق الكذاب حقا هو كارل ماركس واضع نظرية محو الطبقات وتلميذه سقالين منفذ تلك النظرية الخاطئة بالقوة لا بالإقناع ، فالمساواة بين الطبقات إنما هي التضليل بعينه ، والدعوة إلى إهمال الأصول وإنكارها والتمسك بما حصل عليه الإنسان أو بما وصل إليه إنما هو الكذب الصراح

قد نجد شعراء ومجتهدين وعلماء وأغنياء وعظماء ومصلحين نبتوا نبتة شيطان من الطبقة الدنيا

لم تكن نفوس المدعوين مهيأة إلى محاربة روح الشر بالتسامي أو بالإغضاء عن هفوة أو هنة من مواطن في حق وطنه ومواطنيه . وسرعان ما نهض أحدنا وهو وبع القامة ، عريض المنكبين ، مفتول العضل . يكاد أن يكون رأسه قائما على كتفيه لقصر في عنقه ، ذو عينين صغيرتين تنبعث منهما نظرة صارمة ، حارب الألمان في صفوف الفرنسيين ، وقاتل الفرنسيين في كل ميدان من ميادين الثورة عليهم ، وقال بصوت بدأ هادئا ثم أخذت نبراته تشتد دون ارتفاع .

باسم الثورة لا باسم القانون أنقض حكم حضرة القاضي ، لقد لعبت من غير الخاضعين لقوانين هذا البلد الذي حماني لأن مجلس وزرائه قرر اليوم إبعادي وسأكون قرب ظهر الغد في سفينة تنقلني إلى أوربا ، وإنه ليطيب لي أن أزيل الغم عن صدوركم وأعيد الراحة إلى نفوسكم ، بإصدار حكمي أنا على هذا الخادع

النشاش والخاسية الأثيم للطاعة لولي الأمر ولو كان من المستعمرين والخضوع لقوانين الذل والعبودية . والتفت صوب المنكود « حصل أفندي » الذي كان ثابتا في مقعده لا يبدي له جبين ، ولا يحمر له وجه ولا يصفر وقال :

لقد كنت تسعى وتتجول وتتنقل من مكان إلى مكان آخر بقدمك هذه ، وإني لأرى من العدل بل من الرحمة أن أعفيك من إتمام سعيك ، وإبطاء تجوالك بكسر قدمك هذه . وانقض عليه انقضاض الرجل الغاضب لوطنه وكرامة مرؤته يلوي مفصل قدم المنكود ليا عنيفا

كان الرعديد يصرخ ويولول . لقد استجار بالله ، ورسله وأوليائه ، لقد حلفنا بأولادنا وأعراضنا أن ننتقم من بلائه

لقد كلت أيدينا ، وعجزنا على كثرتنا عن تخليص قدم المسكين من قبضة صديقنا المنتقم ، ولم يتركها إلا بعد أن خلع مفصلها

إن أنس لا أنس صاحب الدعوة ، وهو طبيب قتل افضاليا كيف سير بيته مستشفى وقد أقامنا على خدمة من ضلله الشيطان

لقد دار الزمان دورته ولا أحسب إلا أنه أتمها وهي على غير محورها الثابت . ومن سخرية القدر أن يصبح حصل أفندي نائبا عن الأمة بضطام حتى اليوم في أحد مجالس نيابة دولة شقيقة

حبيب الزحلاوي

مختارات من الأدب الفرنسي

شعر ونثر

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد الفريدة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

وثمنه ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

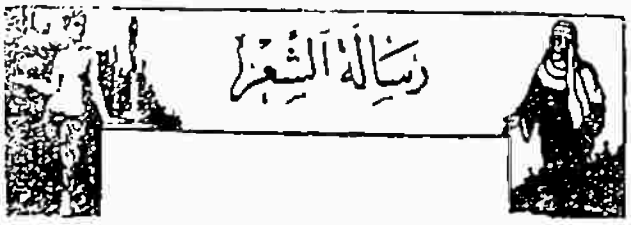

ديوان مجد الاسلام

نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم

بقدم الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

فى دار الأرقم ابن أبى الأرقم

ودعا (الأرقم) استجب تلك دارى ... تسع الدين حرجاً محصورا
وافها ، واجمع المصلين فيها ... عصبة، إن أردت أو جمهورا (١)
وأتى (ابن الخطاب) يؤمن بالله ... ويختار دينه المأثورا
قال : كلا ، ان يعبد الله سرا ... ويرى نور دينه مستورا
اخرجوا فى حمى (الكتاب) أسودا ... واطلعوا فى سنا (النبى) بدورا
ذلكم بيتكم ، فصلوا ، وطوفوا ... لاتخافن مشركا أو كفورا (٢)

إرادة قتل الرسول الكريم وهجرته

أجمعوا أمرهم . وقالوا : هو القتـ ... ـل يميط (٣) الأذى ويشفى الصدورا
كذبوا ، مادم الهزبر أمانى ... مهاذير يكثرون الهريرا (٤)
لا وربى ، فإنما طلب الكفـ ... ـار بلا (٥) وحاولوا محظورا
إن نفس الرسول أمنع جارا ... من طوافيتهم ، وأقوى مجيرا
ما لهم ؟ هل رمى النبى ترابا ... أم عمى فى عيونهم مذرورا ؟
ذهلوا مدة فلما أفاقوا ... أنكروها دهياء عزت نظيرا
ينفضون التراب : من مس منا ... كل وجه ، فرده ممقورا ؟
أين كنا ؟ ما بالنا لا نراه ؟ ... ما لأوصالنا تحس الفتورا ؟
أمن الحادثات ما يذهل العا ... قل عن نفسه ويعمى البصيرا ؟
أين ولى ؟ لقد رمانا بسحر ... فسكرنا ، وما شربنا الخمورا
ياله مصعبا لو انا أصبنا ... ه على غرة نظر مقبراً
راح فى قبطة ورحنا نعانى ... أملا ضائعا ، وجدا مثورا
خيبة تترك الجوانح حرى ... يا لها حسرة تشب وتورى
رب آتيته على القوم نصرا ... فتباركت حافظا ونصيرا
أنت نجيته ، فهاجر بقضى الـ ... ـحق ، لا خائفا ولا مذعورا
يوم ضجت جبال (مكة) ذعراً ... وتعنت هضابها أن تمورا (٦)
تتزى أمى ، وتعسكها ثـ ... ـم لولاك لارتمت تقذف الصخـ
هى لولاك لارتمت تقذف الصخـ ... ـر نهبا من ورائه أن تسيرا
هاجها من جوى الفراق وحر الـ ... ـوجد ما هاج بيتك المعمورا
كاد يهفو فزدته منك روعا ... وتزجى هباءها المنثورا
يالها من (محمد) نظرات ... فائقى راجح الجلال وقورا
نظرات شجية لا تعد الـ ... ـحب فيها ، وجاشت سعيرا
قال : مافى البلاد أكرم من مكـ ... ـة أرضا . ولا أحب مثيرا
فاسكنى يا هموم نفسى ، إن الـ ... ـله أمضى قضاءه المقدورا
إننى قد نذرت لله نفسى ... والتقى الوفى يقضى النذورا
يقطع البيد بعد صحب كرام ... قطعوا غارب الهباب عبورا (٧)
كم رشيد آذاه فى الله غاو ... زاده طائف الهوى تخسيرا
ضرب الصحب فى البلاد فأمسوا ... لا يصيبون صاحبا أو سجيرا
فى ديار لدى (النجاشى) غبر ... ظل فيها سوادهم مغمورا
وتولى وللأمور مصير ... يشترى ربه ، ويرجو المصيرا

(١) كانوا تسعة وثلاثين وجلا فتموا أربعين بإسلام عمر رضى الله عنه
(٢) لم يكن المسلمون يطوفون بالبيت أو يصلون ظاهرين قبل إسلام عمر
(٣) أماط الشيء أبعده ونحاه (٤) الهزبر الأسد ، ومهاذير جمع مهذار وهو الذى يكثر من الهذر الهرير. صوت الكلب دون النباح
(٥) البسل الحرام (٦) تموج وتضطرب أو تجرى على الأرض كما يجرى الماء أو الدم
(٧) إشارة إلى هجرة المستضعفين من المسلمين إلى أرض الحبشة، وغارب الهباب أعلاه

يوم يمشى (الصديق) فى نوره الزا ... هى يوالى رواحه او البكورا
يبصر الحق ثائرا يمنع البا ... طل أن يستقر أو أن يثورا
لا يبالى غيظ القلوب ولا يح ... فل فى الله لائما أو نذيرا
أقبل القوم يسألون أنحت الـ ... ـرب ، أم جاور الطريد الغيورا؟
نفضوا الغضب والجبال وشقوا ال ... أرض طرا رمالها والصخورا
ريح (أسماء) إذ يجىء أبو ج ... هل على خدها المصون مثيرا
صاح أسماء أين غاب أبو بكـ ... ـر أجيبى ، فقد سألنا الخبيرا
قالت العلم عنده ما عهدنا ... أجم الأسد تستثير الخدورا
فرماها بلطمة تمرض الأجـ ... ـال من ذكرها سوارف صورا(٨)
قذفت قرطها بعيدا ورضت ... من وجوه النبى وجها نضيرا

فى الغار الأكبر ، غار ثور

غار ثور أعطاك ربك ما لم ... يعط من روعة الجلال القصورا
أنت أطلعت للمالك دنيا ... ساطعا نورها ودينا خطيرا
صنته من ذخائر الله كنزا ... كان من قبل عنده مذخورا
خفر الحق لاجئا بفوق ... قام فيه (الروح الأمين) خفيرا
وقفت حوله الشعوب حيارى ... من وراء العصور، تدعو العصورا
يا حيارى الشعوب ويحك إن الـ ... ـحق أعلى يدا وأقوى ظهيرا
لا تخافى فتلك دولته العظـ ... ـمى تناديك أن أهدى السريرا
جاءك المنقذ المحرر لا يتـ ... ـرك قيداً ، ولا يغادر نيرا (٩)
ورث المالكين والرسل العـ ... ـدين بالحق أولا وأخيرا
الحكيم الذى يهد ويبنى ... فيجيد البناء والتدميرا
والرحيم الذى يسن ويقضى ... لبنى الدهر ، غيباً وحضورا
تتراءى الأجيال بين يديه ... تتناقى النظام والدستورا
ليس فى الناس سادة وعبيد ... كبر العقل أن يظل أسيرا
خلق الكل فى الحقوق سواء ... ما قضى الله أمره مبتورا
كذب الأغبياء ما ظلم الله ... ه ، وما كان مسرفا أو فتورا
دبر الملك للجميع ، فسوى ال ... أمر فيه ، وأحكم التدبيرا
يا (نصير المضاف) حرر نفوساً ... تتمنى الفكاك والتحريرا
ضجت الكائنات: هل من سفير ... يتلافى الدنى ؟ فكنت السفيرا

(٨) من السوارف والصور وهما بمعنى الميل والانصراف
(٩) النير هو الخشبة توضع على عنق الثورين ليجرا ما يراد جره

رب آتيتنا هداك ، وأنزلـ ... ـت علينا كتابك المسطورا
فلك الحمد وافرا مستمرا ... ولك الفضل باقيا مذكورا

أبو بكر الصديق وحية الغار(١٠)

صاحب القائم المتوج بالفر ... قان ، بوركت صاحباً ووزيرا
أنت وليته ، وعاديت فيه ... من توخى الأذى، وأبدى النفور
أو لم تتخذ أباك عدوا ... وتذقه الهوان كيما يحورا ؟
إذ يقول (النبى) لا تضرب الشيـ ... ـخ ، وإن سبنى ، ودعه قريرا
إنما نلت بالمساءة منه ... والدا مدبرا ، وشيخاً ضريرا
ليت شعرى : أصابت حية واد ... نفثت سمها ، فأم أصابت حريرا ؟
خفت أن توقظ (النبى) فما يرـ ... ـه من وقار ، ولا استخف (ثبيرا)
أكرم الله ركبتيك ، لقد أعـ ... ـنيك أن تضعف القوى أو تخورا
أى رأس حملت يا حامل الإيـ ... ـمان صحوا والبر صفراً طهورا ؟

سراقة بن مالك يريد قتل النبى(١١)

إتق الله يا سراقة وانظر ... هل ترى الأمر هينا ميسورا
أم تظن الجواد تمسكه الأر ... ض وتلوى عنانه مقصورا ؟
أم هو الله ذو الجلال رماه ... بمسك الشر راكضا مستطيرا ؟
غرك القوم ، فانطلقت تجيـ ... ـبه خيسا من الجزاء حقيرا
وضح الحق ، فاعتذرت وأولا ... ك الرسول الكريم فضلا كبيرا
فزت بالعهد فاغتنمه ، وأبشر ... (بسوارى كسرى) فديت البشيرا
قل لأهل النفاق: أوتيت أجرى ... حللا فابتغوا سواى أجيرا
ليس من رام رفعة أو سناء ... مثل من رام ناقة أو بعيرا

يتبع

(١٠) وضع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف فى حجر الصديق فنام على ركبتيه ، وقد بقى فى الغار شق لم يسد ، فوضع الصديق قدمه فيه للدغته الحية ، فاحتمل آلامها ، وكره أن يتحرك فيوقظ النبى ، وقيل ان عينه دمعت فسقط الدمع على وجهه الشريف فأيقظه

(١١) جعل كفار قريش لمن يقتل النبى صلى الله عليه وسلم أو يأسره مائة ناقة — فذهب سراقة فى أثره . قال سراقة بعد أن ساخت قوائم فرسه مرارا ، وبعد أن استغاث بالنبى الكريم : يا محمد انى لأعلم أنه سيظهر أمرك العالم ، وتملك رقاب الناس ، فعاهدنى على أن تكرمنى إذا جئتك يوم ملكك — فأمر عامر بن فهيرة ، وقيل أبا بكر فكتب له العهد الذى طلبه (أسلم بالجعرانة رضى الله عنه) قال له النبى عند منصرفه : كيف بك يا سراقة إذا تسورت بسوارى كسرى ، وقد ألبسه عمر إياهما فى خلافته لما فتحت بلاد فارس

الانسان بين المادية والاسلام

تأليف الاستاذ محمد قطب

عرض وتعليق

للاستاذ حسين عبد الفتاح سويني

تتمة ما نشر في العدد الماضي

« المجتمع حاجة نفسية ، تنبعث من نفس الفرد ، من رغبة ملحة في ألا يعيش وحده ، وسواء كان الخوف، والشعور بالوحشة أمام الحيوانات المفترسة ، وقوى الطبيعة المجهولة، أو كانت المصلحة حين وجد كل فرد أنه يستطيع أن يدرك بالاشتراك مع غيره ، مالا يستطيع أن يدركه وحده ، أو كانت غريزة الجنس ، أو نزعة التطبيع ، فالنتيجة الأخيرة واحدة ، وهي أن نزعة لا تقهر ، هي التي أنشأت المجتمع من ضمير الفرد . . . . . .

« وقد كان أمراً طبيعيا أن يكون المجتمع الأول في أضيق نطاق ممكن ، وأبسط صورة ممكنة : أسرة : زوج وزوجة وأبناء . فتلك أول مجموعة يمكن أن تتغلب فيها نزعة الاجتماع ، على النزعات الفردية المستقلة ، وتخضعها لسلطانها بأي طريق . ومنذ تلك اللحظة، صارت الأسرة ، هي الوحدة بدلا من الفرد، ومع أن الفرد ظل محتفظاً بكيانه ، كشخصية مستقلة ، إلا أنه ، قد اكتسب في الوقت ذاته صفته الأخرى ، كعضو في جماعة ، ولم يعد في طوقه أن يحس أو يفكر أو يعمل إلا بصفتيه في آن واحد » هذه صورة يعرض عليك فيها حاجة الفرد إلى المجتمع الذي يعيش فيه، ولا يمكن أن يكون مستقلا بذاته، غنيا بفرديته. تقابلها صورة أخرى حين يراد للفرد أن يخضع لنزعته الجماعية إلى آخر المدى ، على حساب فرديته وذاتيته، في الدول الدكتاتورية أو الشيوعية

« إن الإنسان في آفاقه العليا، كائن له إرادة حرة، وكيان مستقل، صحيح أن له إرادة يحدها الصالح العام، وكيانه المستقل، يخضع لقدر من الإشراف يتحقق به في النهاية صالح الفرد ذاته بتحقيق صالح المجموع ، ولكن الفرد في المجتمع الحر له رأي في تكييف هذا الصالح العام ، وفي طريقة تنفيذه . رأي حر يتشاور فيه الناس علانية ، دون خوف من سلطان الدولة . . وتجسس الرقباء . . . . والفرد حر في مشاعره التي لا تؤذي غيره ، يصوغها كما يشاء كيانه ، وبنيته النفسية الخاصة ، حر في فلسفته الشخصية التي ينظر بها إلى الحياة والكون في حدود الإطار الذي يتحرك فيه الجميع ، متعاونين غير متصارعين ، وحر في اختيار العمل الذي يناسبه ويشعر أنه ميسر له »

« وإن إنكار حق الفرد الممتاز في القيادة والتوجيه لجريمة مزدوجة ، فهو أولا يبدد طاقة بشرية من نوع نادر ممتاز كان يمكن أن يستفيد بها المجموع لو أتيحت له الفرصة المناسبة ، وهو كذلك يظلم هذا الفرد حين يعامله معاملة الأفراد العاديين ، بدعوى المساواة المطلقة بين الجميع ، فطالما أن الناس مختلفون في طاقاتهم الفردية ، واستعداداتهم الجثمانية والفكرية والنفسية فدعوى المساواة المطلقة خرافة حمقاء »

وهذه صورة ثالثة للانسان في وضعه السوي رسمها له الإسلام

« النظام الصالح هو الذي يوازن بين الفرد ومصالحه ، وبين صفتيه المكونين له ، كفرد مستقل ، وعضو في جماعة، كما يوازن بين الجيل الواحد والأجيال المتعاقبة في نطاق الإنسانية الشاملة الرحيبة

« إن مجرد الإسلام يعطي الدم حصانة من الاعتداء على كرامته الإنسانية ، وحقوقه البشرية ، وأنه حين يكرم الفرد إنما يكرم المجتمع بأكمله »

وهل كان الفرد إلا ذرة في المجتمع الذي يعيش فيه ؟

« لذلك يعنى الإسلام عناية شديدة بكل فرد على حدة ، لأنه الوحدة التي ينشأ المجتمع من اجتماعها بغيرها من الوحدات ،

والطبيعة التي يقوم عليها البناء »

وحينما يتحدث من الجريمة والعقاب، يقارن بين الأمم ، التي تقدس حرية الفرد وتعتبر أن المجتمع هو المسئول عن جرائم أفراده ، والأمم ذات النظم الجماعية « التي تبالغ في الحط من قيمة الفرد ولا تعترف له بكيان مستقل فتقسو تبعا لذلك في الحكم على جرائمه » . والإسلام الذي يوائم بين الفرد والجماعة فلا يميل مع الفرد على حساب الجماعة . ولا مع الجماعة على حساب الفرد . وإليك قوله فيه

« أما الإسلام فله رأيه في الجريمة والعقاب ، ينفرد به بين نظم الأرض ، ويمسك فيه بميزان العدالة المطلقة بقدر ما يمكن أن يتحقق في دنيا البشر — فلا يسرف في تقديس حقوق الجماعة ولا يسرف في تقديس حقوق الفرد . . . . وذلك تبعا لنظريته التوازنية التي ينظر بها إلى الناس ، لا من واقعهم الأرضي المحدود ولا من زواياهم المتضاربة ، بل ينظر إليهم من أعلى ، من السماء ، فيراهم كلهم في لحظة واحدة ، بنظرة واحدة شاملة ... فحينذاك لا يبدون فردا وجماعة منفصلين متقابلين ، بل يبدون وشائج متصلة ، وعلاقات متداخلة ، لا يمكن فصل بعضها عن بعض »

« والاسلام لا ينظر للجريمة بعين الجماعة فحسب ، بل يمسك الميزان من منتصفه ، فينظر إليها كذلك وفي ذات الوقت بعين الفرد الذي تقع منه الجريمة

فهو حين ينظر إليها بعين الجماعة فيقرر حقها ، في حماية نفسها من الجريمة ، ويفرض لذلك العقوبات ، ينظر إليها كذلك بعين الفرد ، فيرى مبرراته ودوافعه لارتكاب الجريمة ، فيعترف بها ، ويعطيها حقها الكامل من التقدير والرعاية ، ويعمل على إزالة كل الدوافع المعقولة ، قبل أن يفرض العقوبة »

وحينما يتعرض للمشكلة الجنسية ، يتعرض تعرض الرجل الخبير بطبيعة الجسد ، العليم بطبائع النفوس ، فلا تفوته رغبة من رغبات الجسد ، ولا نزعة من نزعات النفس ، ولا رأى من الآراء إلا حلله ليأخذ منه الصواب ، ويدع الخطأ أو يبدى رأيه المستقل حين لا يقنع برأى من الآراء . كل ذلك في أسلوب ساحر ، وحساسية مرهفة ، وشعور طلق رحيب ، وعقل باحث منقب ، يقتحم بك المادة فتشعر بحرارتها وثقلها ، وينطلق بك طائراً في روحانية شفيفة ، تجتاب الآفاق ، وترتاد العوالم ، فتسمع معه همس الحور في قصور النور ، أو مناغاة الجنيات في عالمها المسحور

استمع إليه حينما يبين العلاقات بين الجنسين في أسلوبه الشيق العالي

« إن الرجل في حاجة إلى المرأة ، والمرأة في حاجة إلى الرجل لشيء آخر غير ضرورة الجسد ، ودفعة الغريزة ، إن كلا منهما ليجد عند الآخر ، وفي رحابه (مشاعر) نفسية . الألفة والحنان والود . والتعاطف . مشاعر لا يجدها في أي مكان آخر ، لا يجدها الرجل كاملة عند الرجل ، ولا المرأة عند المرأة

« إن كلا من الجنسين في حاجة إلى فرد من الجنس الآخر ، يلقى إليه نفسه كلها . مشاعرها ، وأفكارها ، ويتكشف له عن كل أسراره الدفينة ، ويتجاوب معه ويتعاطف ، ويجد منه حافزا وعونا لمواجهة الحياة ، وتبعاتها المختلفة

« وإن الدنيا كلها لتنفتح لقلبين متحابين متآلفين ، ولا تنفتح لقلب واحد محروم من الحب والعطف ، مقطوع من الألفة العذبة ، ولو كان أكبر قلب لأعظم إنسان ، بل هو لن يكون قلبا كبيرا ، وهو محروم من غذائه الطبيعي ، الذي لا تنقضي الحاجة إليه

« وتلك وقائع . قد يفتن الشعر في تصويرها ، في عالم المثل والأحلام ، ولكنها بغير شعر ولا فن ، وقائع علمية تشهد بصحتها الحياة كلها منذ فجرها إلى اليوم »

الله . ماذا يمكن أن يقول قائل أروع من هذا . وهل في الشعر أو النثر ما يعادل هذه الروعة ، التي تأسر الألباب ، وتأخذ بمجامع القلوب ؟!

ثم استمع إليه وهو يتحدث عن شعور الحرمان ، لتحس معه أنت أيضا بشعور الرجل المحروم من الطفل ، أو المرأة المحرومة منه ، وكيف تقابل طبيعة كل منهما هذا الحرمان

« وقد يجد الرجل أحيانا عملا ، أو فكرة يغرق فيها نفسه ليسكت هذا الهاتف الملح ، والحنين اللهوف للطفل ، ولكن المرأة

ما أقسى حياتها بغير طفل ! إن الطفل جزء من المرأة حقاً مجازاً ، جزء من جسدها تحمله ، وتغذيه من دمائها ، ثم من لبنها وهو ، خلاصة دمها ، وجزء كذلك من كيانها النفسي ، بحيث تشعر أنها معطلة ، أو ناقصة ، أو عاجزة ، إذا لم تأت بنسل »

وحينما يتحدث عن الإحساس الجنسي ، يبين لك ألوانه ودرجاته ، ألوانه بريشة الفنان المبدع ، ودرجاته بمقاييس العاطفة الدقيقة ، فيشعرك بحرارة الجسد حينما تتخلله الرغبات العارمة الحارة ، وانطلاقات الروح حينما تتخلص من قيود المادة ، وتنطلق في عالم الصفاء واللطف

« هناك الشهوة العارمة التي تتمثل في الجسد الهائج ، والجوارح الظامئة ، والعيون التي تطل منها الرغبة الهائجة المجنونة

وهناك الشهوة الهادئة المتدبرة ، التي تعد العدة في ترتيب وأناة ، حتى تظفر بما تريد على مهل ودون استعجال

وهناك الأشواق الحارة الملتهبة ، التي تنبعث من الجسد ، ولكنها تمر في طريقها على القلب فيصفيها من بعض ما بها من (المكارة) أو يعطيها قسطاً من العاطفة تمتزج بصيحة الجسد الملهوف

وهناك الأشواق الطائرة الرفرفة التي تنبعث من القلب ، وقد تمر في طريقها على الجسد فيمنحها بعض لهيبه المحرق وقد يختلط بها بعض المكار ولكنها تظل محتفظة بكثير من الصفاء

وهناك إشراقة الروح الحالمة ، وقد صفيت من المكار كله ، وصارت صفاء مطلقاً ، لا يعرف الجسد ، وإشعاعة لا تعرف القيود ، تعشق الجمال خالصاً حتى من الإطار الذي يصب فيه

« وهناك ألوان أخرى لا تدركها الألفاظ ، ولا يقدر عليها التصوير »

« وبين هذه الألوان المختلفة مئات من الأحاسيس ، تشترك في الأصل ولكنها تختلف فيما بينها أشد الاختلاف

فأي كسب للانسانية في أن تقول مع القائلين « كله في النهاية جنس »

أرأيت كيف يتدرج بك من نيران الرغبة الملتهبة إلى أنوار الحب الطاهر الطائر البريء ، وينتقل من افح الجحيم ، إلى نفح النعيم في خفة ورشاقة ، وبراعة ولباقة ، ودقة وأناقة

وحينما يتحدث عن القيم العليا ، ويسائل منكراً ، أو يستفهم مستنكراً لما يقوله العلماء التجريبيون ، يشعرك معه بالسخرية الحارة مما يقولون :

« هل القيم العليا كلها خرافة ، والمشاعر النبيلة كلها أوهام ؟!

« هل كانت حياة كل دعوة الأنبياء والمصلحين ، وكل محاولة لتهذيب الطبائع البشرية ؟! وهؤلاء العظماء من كل لون وفي كل باب الذين ضحوا بمصالحهم لصالح الإنسانية ، الذين استعصوا على دعاء الشيطان ، واستمعوا لهاتف الضمير ، الذين أقاموا أنفسهم مثلاً رفيعة للعدل والنزاهة والرحمة والتعاطف ، والاعتداد بالكرامة ، والإيمان بالأفكار العليا والجهاد في سبيلها . هل كانوا كلهم خرافة ؟!

أبو بكر . وعمر . وعلي . وأبو عبيدة . وأبو ذر . وعمر بن عبد العزيز ... وأخناتون . وغاندي . وبوذا وغيرهم وغيرهم .. كلهم أوهام ؟ »

ثم انظر إليه بعد ذلك وهو يمزق تلك الصورة القذرة . التي رسمها فرويد للانسانية ، ليلوث بها كل جميل في مشاعر البشر ، ويهوي بالإنسانية إلى درك سحيق من الانحطاط والتردي . وكيف يرد عليه من نفس كلامه ويمسك بتلابيبه ، ويضيق عليه الخناق حتى لا يستطيع جواباً

« قتلت الإنسانية أباها الأول ليستمتع الأولاد بأمهم في شهوة جنس دنس مسعور ، ولكنهم ما كادوا يصنعون ذلك ، ويرون أمامهم جثة هامدة ، حتى اعتراهم الندم على فعلتهم الآثمة »

وهنا يأخذ الرجل من لسانه كما يقول :

« من أين يأتي الشعور بالندم لهذه الحيوانات الهائجة ، التي تتصرف بدافع الحيوان ؟ من الذي أوحى إليهم أن عملهم هذا كان خطأ لا يجوز ؟ إننا هنا أمام شعور إنساني يفرق بين الإنسان والحيوان

فهذا الشعور على الجريمة ، يؤكد وجود الحاسة التي تفرق بين

ما ينبغي ، وما لا ينبغي أن يعمل ، وبين ما هو خير ، وما هو شر ، حاسة تقدر فيها ذاتية للأعمال ، بصرف النظر عن الدافع الغريزي الذي يدفع إليها »

هذه واحدة

« ثم نظر الأبناء فيما بينهم ، فوجدوا أن أحداً منهم لن يفوز بأمه ، إلا إذا قتل الآخرين ، وإذن فستنشأ معركة عنيفة ، لا تؤدي إلى تحقيق المصلحة المنشودة ، فاتفقوا بينهم على أن يتركوا أمهم لا يمسها أحد منهم ، وينصرفوا راشدين متآخين بدلا من أن يقتتلوا فيهلكوا خاسرين »

« وهذه هي الثانية

« شعور إنساني آخر . شعور التآخي على مصلحة عامة ، بدل الأنانية القاتلة والصراع المرذول »

وإنما ساق هذا القول من أقوال فرويد ، ليبين أن الإنسانية في أوضاعها الأولى ، يوم كانت على فطرتها : لم تهذبها تعاليم الرسل ، ولا آراء المصلحين ، ولا عقول المفكرين . كان فيها استعداد فطري ، لأن تقدم على الإثم ، وأن تعمل على تحقيق النفع المشترك ، وأن تنفر من التنازع والخصام

وقبل أن أنتهي من هذه الكلمة ، أحب أن ألفت النظر إلى أسلوب المؤلف اللاذع الساخر ، حينما يريد أن يسخر برأي من الآراء أو يفند قولا . ولكنها السخرية التي تجري فيها الحكمة ، ويظهر فيها الاتزان . ومع ذلك فهو يرغمك على أن تضحك ، وتغرق في الضحك ، مع أنك مع كتاب جاد رصين

فانظر إليه وتخيل مسحة البشرية ، لو أنها نفذت كلها تعاليم المسيحية ، واعتزلت في الصوامع والأديرة

« أي كارثة كانت تصيب الإنسانية ، لو أن الناس كلهم قد اعتزلوا في الصوامع والأديرة ، فانقطعت الحياة بانقطاع النسل ووقف التقدم البشري كله بانصراف الرغبة عن الحياة الدنيا ، إطاعة لأوامر السماء »

ثم استمع إليه ، وهو يصور لك حالة المسيحيين داخل حدود الكنيسة ، وحالتهم وهم بمنأى عنها

« إذا كانت المسيحية لأسباب سياسية وتاريخية ، قد انتشرت في رقعة كبيرة من الأرض ، فإنها مع ذلك لم تطبق تطبيقا عمليا ، وإنما بقيت في حدود الكنيسة ، لا تبسط من ظلها على الأحياء إلا وهم خاشعون في صلاتهم ، يحمون التراتيل الساحرة ، والصلوات المؤثرة ، فإذا انطلقوا بعد ذلك إلى أعمالهم انطلقوا إليها بشرا لا مسيحيين ، لا يدير أحدهم خده الأيسر لمن لطمه على خده الأيمن ، ولا يقلع أحدهم عينه ، ويلقيها عنه لأنها تعثره ، ولا يرضى بأن يهلك عضوا واحدا من أعضائه ، تكفيرا عن إثم من الآثام »

ثم استمع إليه وهو يسخر من الشيوعيين الذين لا يرون الأخلاق قيمة ذاتية — إنما هي أشياء ابتدعها الرأسماليون — ولا يرون في الجريمة الجنسانية جريمة ، لأنهم مضطرون ، إلى إطلاق القطيع على سجيته . وإذن فأين الجريمة ؟

« الجريمة الكبرى في الدولة الشيوعية ، الجريمة التي تشق لها السماء ، وتنهد الجبال هدا ، هي انتقاد النظام الشيوعي أو التعرض للإله الأكبر « بابا ستالين » أو أحد من الآلهة السابقين وخاصة الإله — لنين — تقدست أرواحهم ولهم الأسماء الحسنى — عند ذلك ينقضون بجيما على هذا المجرم الأثيم — فيسرعون به إلى المشنقة إن أرادوا به الرحمة أو ينفونه في ثلوج سيبريا . إذا أريد له العذاب ، وعندئذ تخرج الصحف الروسية . مفاخرة مباهية ، بأن الدولة قد قامت بحركة تطهير ، لحماية النظام »

وفي الكتاب من هذه اللذعات كثير !

وبعد — فهذا الكتاب رحلة شائقة إلى ينابيع الحقيقة ، وسفرة ميمونة إلى مناهل المعرفة . صاحبه شاعر بارع . علاوة على أنه كاتب محقق ، وبأسلوب الشاعر وتحقيق الكاتب أخرج هذا الكتاب

حسين عبد الفتاح سرحي

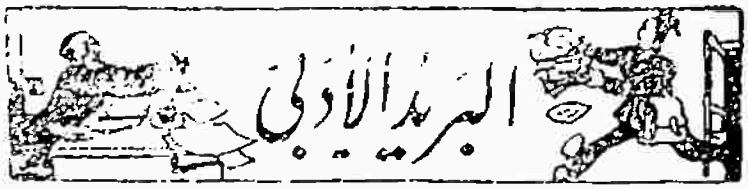

ليس في القرآن أساطير

يقول الأستاذ توفيق الحكيم في كتابه الجديد (فن الأدب) الذي طبعته ونشرته مكتبة الآداب بالقاهرة ما نصه :—

(لقد أتى القرآن بجديد في فن الكتابة لا اللغة وحدها بل القصص والأساطير ، لقد استخدم الفن القصصي في التعبير عن المرامي الدينية ، ولكن المدهش أن الأدب العربي لم ير في القرآن إلا نموذجا لغويا .. ولم يرفيه النموذج الفني . فلم يخطر له استلهام قصصه ، أو استغلال أساطيره استغلالا فنيا مستفيضا ... الخ) (صفحة ٢٤ من الكتاب المذكور)

ولست أدري على وجه التحقيق ماذا يريد أديبنا الكبير الأستاذ الحكيم بنسبة الأساطير للقرآن الكريم ؟ وهل يحتوي كتاب الله المنزل على رسوله الصادق الأمين أساطير تستغل استغلالا فنيا أو غير فني ؟ ومن هم الذين عناهم الله بقوله في (سورة الفرقان) آية ٥ (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)

وإذا كان يقصد بالأساطير القصص فإن الفارق واضح بين القصة والأسطورة .. والقرآن الكريم (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(سورة فصلت آية ٤٢)

(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق) سورة هود

(نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) (سورة يوسف آية ٣)

(كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) سورة طه آية ٩٩)

وبعد فلعل الأستاذ الحكيم يرمي إلى معنى آخر غير المعنى المفهوم من الأساطير ... وأترك المجال لغيري من أهل البحث والتحقيق . والله ولي التوفيق

سيد قطب

في الشعر السياسي :

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الإذاعة المصرية في عددها الصادر بتاريخ ٣ من مايو سنة ١٩٥٢ مقالا قيما للأستاذ نجيب محمد البهبيتي وقد جاء في آخره ما يلي : —

يقول شاعر الخوارج في قتل ابن ملجم لعلي كرم الله وجهه

يا ضربة من تقي ما أراد بها
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حينا فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا

فيأخذه شاعر الشيعة فيقلبه هذا القلب لاعنا قائله وهو عمران بن حطان

يا ضربة من غدور صار ضاربها
أشقى البرية عند الله إنسانا
إذا تفكرت فيه ظلت أمنه
والعن الكلب عمران بن حطانا...»

وقد ذكر جمال الدين أبو بكر الخوارزمي في الباب الثامن في فتنة الخوارج من كتابه « مفيد العلوم » ما يأتي بعد أن ذكر خبر معاوية وعمرو . —

فقالت الخوارج : —

يا ضربة من تقي ما أراد بها
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حينا فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا

فأجابه عمران بن حطان : —

يا ضربة من لعين ما أراد بها
إلا ليهدم للاسلام أركانا
أضحى فداة تماطاها بضربته
مما عليه من الاسلام عريانا
طوراً أقول ابن ملجوم ملتقطا
من نسل إبليس بل قد كان شيطانا

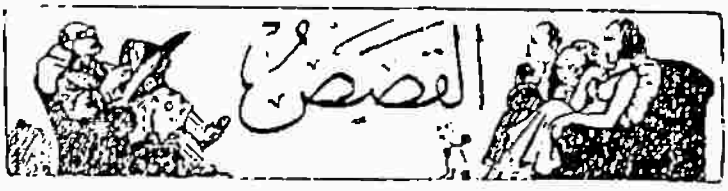

هندي من الحمر

عن فرنز مبلر

للأستاذ كارنيك جورج ميناسيان

قال التلميذ عن نفسه وهو يتحدث : روبرت سنو

لكنني كنت أعرفه من قبل ، فهو أكبرنا سنا ، وإن كنا أقدم منه عهداً في الدراسة . إنه يمتاز بلون برنزي ، وعينين قاتمتين تبرقان في الظلمة

لم نلبث أن تعارفنا . وأخذنا نتبادل التحايا والبسمات الصامتة ، ثم جاء يسأل عن حجرة يسكن فيها ، فأخبرته بوجود حجرة خالية إلى جانب الحجرة التي أقيم فيها ، فوافقه ذلك . . أصبح جاري ، فصار يزورني مساء ، فأقدم إليه قدحاً من الشاي الساخن ... حتى أوشك تحفظه أن يزول بتوطد الصلة بيننا ، وسألته مرة :

— أتدري أني أغبطك !

قال باسماً : — علام ؟

— على لون طلعتك . . هذا الغريب الجذاب ، الذي يذكرني بلون العنود الحمر

— لا غرابة في ذلك ، فأنا هندي من الحمر !

وطفق يحدثني بأخباره الخاصة . . كان يحبها بين الغاب والبحيرات ، فيجد في الغاب حيواناً يأنس إليه ، كما يجد في البحيرات ماء يسبح فيه ويشرب منه . . فسألته :

— وما الذي دعاك إلى ترك عالمك الجميل واستبداله بعالم الدراسة

فأجابني بقوله : — قال أحد العرافين لأبي أني ذكي فطن ، لا يجب تركي عائشاً عند بحيرة (هرنين)

— وبعد ؟

— وبعد تركت عالمي وجئت إليكم

فصمت ، ولم أليث أن سألته بكثير من الكياسة والتردد :

— ترى أرضيت عن ثقافتنا يا صاحبي !

قال : — خلت نفسي ثملا . . وأنا أرى الشوارع والدور ... وآلاف الأعاجيب الأخرى . . فكنت أمر مذهولا شارداً ، أتحسس ما أرى وما أشاهد كي أنا كد أنني لست أحلم !

إن أمواج بحيرة هرنين لم تكن لتريني كل هذه الأعاجيب !

إن العجيبة الأولى التي أذهلتني هي السفينة العظيمة التي حملتني ، وعبرت بي المحيط !

لقد خلت نفسي وأنا أراها تسير بسرعة وثبات على سطح البحر الزاخر . . أني أمام عمل من أعمال الآلهة . وقد ركبت حينئذ وصليت من شدة رهبتي !

ثم صمت ، وأنشأ يحرك الملعقة في كوب الشاي ، فتحدث حركته رنيناً حزيناً ، عاد بعد انقطاعه يتمم حديثه فيقول .

— لم تكن حياتي الماضية تشمل غير الواضح المألوف . لكنني كنت أعجب وأنا أقصد للبحيرة أن أجد في طريقي ريشة طير ذات ألوان جذابة مفرحة . كانت تبدو لي كأنها تحييني بتحية الصباح ، لقد كنت أتناولها فرحاً وأداعبها مسروراً .. فأمسحها بجبيني تارة وبوجهي أخرى ، وإذا ما هبت الريح كنت أرفعها وأرميها عالياً مع مسرى الريح .

— يا لها من لذة !

— .. كانت أموركم ألذ بكثير

والرواية التي ذكرها الخوارزمي تدل على أن عمران بن حطان كان شيعيا وقد يكون بأبياته قد عارض الخارجي في مدحه قاتل علي كرم الله وجهه ؟ وكيف يلعن نفسه كما ذكر الأستاذ نجيب؟

فما رأي الأستاذ نجيب في هاتين الروايتين وأيهما أحق بالتصديق

شطانوف

محمد منصور مغضر

— ولماذا تقول كانت ، أو ليست كذلك الآن ؟

— أبداً .. إن التحليل والتشريح والتبسيط حطمتها ، وذهبت بروعتها وسحرها ...

— لا أفهم ما تقول

لم يجبني ، بل نهض وفارقني بعد تحية سريعة

بقيت تلك الليلة أفكر في قول صاحبي ... حتى طار النوم من عيني !

وفي الغد كنت أجلس بجانبه في المختبر ، وأمامنا بطاريات الزجاج مصفرة على المنضدة ، في حين كان مصباح بونش يشع نوراً أزرق ، توشك العين ألا تراه ! وما كان أستاذنا قد حضر بعد ، فقال لي رفيقي :

— ألم تلاحظ وجه السبورة السوداء تلك ؟

— لاحظتها كثيراً ، فقد كتبت عليها مئات المعادلات

— لم تفهم قولي ، قلت لك وجهها ..

فحولت نظري إلى اللوحة ، فلاحظت أن الأبخرة المتصاعدة من الأحماض قد تركت على سطحها أشكالا وخطوطاً غريبة ، لو نظرها شخص باتباه ، لبدت له من تعاريج الخطوط رسم وجه لإنسان عبوس ! فقلت لصاحبي :

— حقا إنه يبدو كوجه إنسان

— أتعلم وجه من هو ؟..

قلت ساخراً :— إنه ... وليد الاتفاق والمصادفة !

فقال مقاطعا — هذا هو وجه العلم ! قد صورته مبتكرات العلم ، فإذا هو وجه عنيد متجهم ، لا تنبئ أساريره بأي معنى من معاني الرحمة !

وهنا دخل الأستاذ ، فانقطع كلامنا ، لكني بقيت حائرا أستعيد رأي صاحبي ولا أدري ! أصدقه أم أكذبه « وجه العلم العنيد المتجهم » ؟ فأمضي بنظري إلى اللوحة ، تاركا الأستاذ يشرح ويعلل ، لأرى وجها عنيدا متجهما حقا !

لا ريب أن التبسيط يحطم اللذة والروعة ، فلو بسطنا أسباب ظهور الوجه على سطح اللوحة فإننا لن نشعر بعد ذلك ، بمثل ما يشعر هذا المعتدي نحو ذلك الوجه الغريب !

.. وفي طريق عودتنا إلى غرفتينا قلت لصاحبي :—

— إني قادر على فهمك بعد الآن

قال — هيهات . فأنت قد ولدت هنا في عالم العلوم ، لا في عالم الطبيعة . إنك لم تتعود على العشب الأخضر ، ولم تتفهم أسرار الحقول ، فلا يمكنك أن تبثها أحزانك أو تشرح لها آلامك كما أفعل أنا ! هذه لوحاتكم ، ما رأيتم فيها غير المعادلات والحاسبات .. والأحرف الكثيرة الجامدة ! حين ثمة لوحات لنا عند بحيرة هرنين ترينا الطبيعة وكيف تحنو ، والأيدي وكيف تتساند ! حتى أنها ترينا الآلهة وهي ترتفع وتسمو عن ...

وصمت فجأة ! وكأنه استدرك ورأى أنه يقول ما لا ينبغي ، فودعني ومضى عن طريقي .. لقد قدرت ألمه ولم أحنق عليه ، وما كان المساء حتى طرق بابي وقال :

— لقد كنت قاسيا معك

فكان جوابي أن قدمت إليه كوب الشاي

وحين رفع الكوب إلى فمه ، أخذ يبحث إلى بأنظاره من فوق حافة الكوب ، فبدت لي عيناه هذه المرة فاترتين أكثر من قبل ! ثم واجهني وقال :

— كان الأجدر بي أن أتصف باسمي فأكون باردا كالثلج .. على الأقل معك أنت

فلم أجب ، فاستمر يقول :

— إن الهدوء والرزانة من صفاتي .. لكن التبسيط الذي يذهب بروعة الأشياء !

فسألته قائلا : لماذا تطلب العلم إذن ؟

— كان المبشر قد أحسن إلي كثيرا ، فحين زودني بالمال وحثني على طلب العلم لم أستطع الرفض

— ولماذا تخصصت في العلوم ؟

— أخبروني هنا أني أهل للعلوم ! إنهم يريدون أن يجردوني من الخيال ، من خيالي اللذيذ ! لأفني في المعادلات العقيمة ، لكني لن أفعل هذا .. لن أفعل !

فصمت قليلا في حين كانت عيناه تبرقان ثم عاد يقول :

إن أهل العلوم قد أفسدوا على أحلامي وخيالي ، قالوا لي إن هذا من هنا ، وإن الماء هو الجمع بين ذرة من أكسجين مع ذرة

من هيدروجين ! وإن ورد الزيبق مؤلف من هيدرات الكاربوليك والنيتروجين ! وإن ماكنة السفينة بسيطة ، فالمحرك لا يدور بقدرة الإله كما كنت أعتقد ، بل بقدرة .. البخار ! لقد عقلوا الأشياء ، وبسطوها وشرحوها ، حتى بدت لي عادية بسيطة تافهة لا روعة فيها أبدا

قلت له : إننا لا نؤمن بوجود الإله في محرك السفينة ، لكننا نؤمن بوجوده في محل آخر

— تعني الكنيسة ؟ دخلتها مرة فشعرت بنفور أعمق من نفوري من المعادلات

— ما قولك إذن في شعرائنا ؟

— أولئك شعراء ؟ إنهم لا يؤمنون بالله في حين يدعون أبدا أنهم يؤمنون ! لقد لاحظتهم وهم منفردون بأنفسهم يرتلون الشعر ، فرأيت السخرية تبدو في وجوههم واضحة كلما جاء ذكر الإله !

وقلت وقد أزعجني كلامه — ألست معي في أن للعالم اسما مهيبا محترما ؟

— أنا معك في أن له اسما مهيبا محترما .. فقط ! لكنه هو نفسه خال من الصفتين ! أنكم تقولون عن العلم أنه سام كالآلهة وأن له أغواراً عميقة ليس لها قرار ! ثم أراكم تنزعون ثوب تلك الآلهة ، العبودة ، وتتركونها عارية ، ثم تجهزون عليها وتجردونها حتى من الخجل

— الخجل ، ما معنى الخجل ياسيدي ؟

— ألم تسمع قول أساتذتنا في الكيمياء ؟ لقد قال ان ما تدعوها (بالحياة) مؤلفة من كذا أحماضا وكذا قلويات .. إلى آخر هذه الأشياء التي نسيتها

فوجدت صاحبي يمضي إلى مذاهب متشعبة ، وأن لا فائدة من مماندته ولا من تشجيعه على ما هو فيه ، فقلت له :

— إذا نلت الدكتوراه فستغدو حرا ، ولك ألا تنتبه إلى المحاضر ولا إلى المعادلات ، ولك ألا تهتم إلا بمالك الذي تحن إليه

* * *

كل من نال الدكتوراه كان قد أجهده الاستذكار .. إلا الهندي سنو ! فهو لم يراجع ولم يذاكر ، فنال أجازة الدكتوراه من غير تعب أو ارهاق . وبدا لي أنه لم يعلق على الدكتوراه أملا مهما من الآمال ! إذ أن كثيرا ما رأيته وهو يسرح بأنظاره عبر الفضاء باحثا عن أحلام أخرى . غامضة ، ما كنت أفهمها ، ولعله هو نفسه أيضا ما كان يفهمها ، وبدا لي كأن وجهه قد تحجر وتجهم وأنه صار شبيهاً بوجه العلم المرسوم ، على اللوحة السوداء

احتفلنا بعد الامتحان ، حيث خطب فينا العميد في قاعة الكيمياء ، فلاحظت صديقي الهندي جالساً أمامي ، وهو منصرف إلى تأمل ذبابة تتطاير عند النافذة ! ولما قال العميد « علينا أن ندعو جيلنا بجيل العلم » ترك سنو ذبابته فتوجه إلى المحاضر فاستمر هذا يقول « ولكننا لسنا في المرحلة الأخيرة من مراحل العلم ، فثمة معضلات أخرى كثيرة يجب أن نحاربها بالعلم » . فلاحظت سنو يزداد انتباهاً . قال المحاضر « فنحن لن نرتاح حتى يسود العلم الأرض كلها ، حتى نحطم العقائد البالية ، حتى . . » وقاطعه صوت عنيف « وماذا أبقيت للشيطان » ؟ ووقف الصارخ فإذا هو سنو ! فجعل يصرخ صراخاً كالعويل .. لاريب أن أهالي قريته يتصلحون به ضد الشياطين ! ثم وثب على محبرة حامرة بالقرب منه ، فألقاها على المحاضر .. ! فتجنبها هذا .. ونزل من المنصة ، فارتطمت المحبرة باللوحة السوداء ، فتكسر زجاجها وسال مدادها على تماريج وجه العلم ، فتكالب على سنو من حوله ، لكنه قاوم حتى نجح في أن يقذف بمحبرة أخرى في وجه . . العالم ! فملأ الصخب والصراخ ، حتى حملوا سنو إلى الخارج حملا .. ومضى عام !

وإذا أنا أستلم رسالة من كندا ، كانت من سنو الهندي ، وكانت فيها هذه الكلمات :

« .. بينما كنت أتوجه ذات صباح إلى محبرة هرلين ، مثلما كنت أفعل قبل مغادرة وطني ، وجدت أيضاً ريشة طائر ، من النوع الذي كنت أجده دائما كما ذكرت لك ، فتناولتها لأرى من من الآلهة قد بعثها لي .. ولأداعبها وألاعبها كما كنت أفعل ! وإذا أنا أمام ريشة بسيطة عادية لطائر معروف ، لا نولد في أية لحظة . إنما هي ريشة تتألف من كالسيوم وكوبلت ٣ » !

فريد جورج ميناسيان

الجزء الثالث من

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

والقصص

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق ثقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات

ليكن في علم الجمهور بأن جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف الحالي وزعت على المحطات للعمل بها ابتداءا من أول مايو سنة ١٩٥٢ وقد راعت المصلحة عند إعدادها تحقيق رغبات الجمهور كما يتبين من التحسينات البينة بها كما أن قطارات الدرزل الجديدة ستسير من أول مايو سنة ١٩٥٢ بين خط مصر — الإسكندرية . وخط مصر — الشلال

وتطلب هذه الجداول من شبابيك تذاكر المحطات وكذا من الباعة المرخص لهم ببيعها مقابل عشرون مليما للنسخة الواحدة

المدير العام

سيد عبد الواحد

مطبعة الرسالة